

## شعر نجيب الكيلاني وأغراضه

ذاكرة جهانتاب\*

المقدمة:

أ- حياة نجيب الكيلاني

مولده

ولد الأستاذ نجيب عبد اللطيف الكيلاني في يونيو عام ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م بقرية شرشابة التابعة لمركز زفتي بمحافظة الغربية مصر. وفي السنة الرابعة التحق بمكتب تحفيظ القرآن، حيث تعلم القراءة والكتابة والحساب وقدرًا من الأحاديث النبوية وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقصص الأنبياء. التحق بالمدرسة الأولية، ثم انتقل منها إلى المدرسة الإرسالية الأمريكية الابتدائية بقرية سنباط التي تبعد عن قريته حوالي خمسة كيلو مترات. نشأ في أسرة تعمل بالزراعة وكان منذ صغره يمارس العمل مع أبناء الأسرة في الحقول، وتخرّج في الثانوية عام ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م في مدينة طنطا عاصمة محافظة الغربية<sup>(١)</sup>.

ثم التحق عام ١٩٥١م بكلية الطب "القصر العيني" بجامعة القاهرة وكان اسمها آنذاك "مدينة فاروق الأول الجامعية بالأورمان" وقد أثرت الجامعة في حياته الخاصة، لأنها كانت تلعب دورًا بارزًا في الحياة السياسية، وفي ذلك يقول: "وقد لعب هذا المبنى الصغير دورًا في الحياة السياسية كما أثر إلى حد كبير في حياتي الخاصة فقد كانت هذه المدينة مأوى لعدد لا بأس به من زعماء الأحزاب - الطلبة - كما اختلط فيها أبناء الوجه البحري والصعيد في مختلف الكليات ... ولذلك فإن الصراع الفكري والسياسي كان على أشده وكانت الاجتماعات السرية وشبه السرية تعقد في مكان ما بالمدينة الجامعية، وتتخذ فيها القرارات التنفيذية

\* عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد - باكستان.

١- انظر: المشكاة (عدد خاص عن الكيلاني)، مراكش، المغرب، ١٩٩٦م، ص ١١، جابر قميحة، مقال بعنوان: "نجيب

الكيلاني والقصة الشعرية"، الفيصل، العدد ٢٥٠، يناير ١٩٩٥م، ص ٢٥٠.

للمظاهرات والإضرابات" (٢).

وأثناء دراسته بكلية الطب "القصر العيني" جامعة القاهرة عام ١٩٥٤ م انخرط في سلك جماعة الإخوان المسلمين وشارك في ندواتهم وإضراباتهم، وقد تأثر بهذه الحركة الإسلامية. وكان المرحوم الكيلاني يدرك عظم المسؤولية تجاه نفسه وأسرته ودينه ولذا نجده يهتم بدروسه ويواظب الحضور يوميا بالكلية، مع أنه قد اندمج في العمل السياسي مع الإخوان المسلمين.

ولما نزل في شهر سبتمبر ١٩٥١ م القاهرة، وقد شغل ذهنه أمران مهان أولهما: المرحلة الدراسية في كلية الطب، وثانيهما: البحث عن المحافل والأندية الأدبية للتزود منها. وأثناء دراسته بالكلية تعرف على الشيخ محمود محمد شاهين والد زوجته وكان يتردد عليه كثيرا ويناقشه في السياسة والجامعة والفكر ويعرض عليه بعض كتاباته، وينوب عنه في إلقاء خطبة الجمعة وهنا تعرف على زوجته كريمة محمود شاهين التي تبلغ من العمر آنذاك أحد عشر عاما. مضى عام دراسي وانتقل الدكتور نجيب الكيلاني في آخر العام إلى السنة الرابعة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥ م بكلية الطب. وعزم الرجوع إلى القرية بغية قضاء العطلة بعيدا عن عواصف الأحداث في القاهرة، وكان يعيش بين ظهرائي أهل القرية تارة يقرأ وتارة يأخذ بأطراف الأحاديث مع الأصدقاء متضمنا الكلام والبحث عن مأساة الإخوان المسلمين ونجاح الحكومة في ضربهم ووضعهم في السجون، وقضى الكيلاني العطلة في القرية ولكن القدر أبى أن تستمر هذه الحالة له ومدت المباحث العامة في أواخر يونيو ١٩٥٥ م أصابها للقبض عليه وذلك إثر رجوعه من القاهرة، فانتقل وسجن في ٨ أغسطس عام ١٩٥٥ م وأفرج عنه سنة ١٩٥٨ م (٣).

اعتقل الكيلاني مرة أخرى عام ١٩٦٥ م، حيث صدر القرار الجمهوري: -: اعتقال كل من سبق اعتقاله والمشتبه في أمره فألقي القبض عليه في صبيحة اليوم السادس من شهر سبتمبر ١٩٦٥ م. طاف الدكتور نجيب الكيلاني بالسجون السبعة ويقول في كتابه لمحات من حياتي (الجزء الخامس) تحت عنوان: السجون السبعة ونهاية المطاف: "عندما أعود إلى الماضي خاصة عام ١٩٥٥ م أذكر أن أول سجن دخلته كان السجن الحربي، أما السجن الثاني فقد كان سجن مصر قره ميدان، وبعده في أواخر عام ١٩٥٥ م تم ترحيلي إلى سجن أسيوط وهو السجن الثالث وبقيت في هذا السجن حتى أغسطس ١٩٥٧ م على ما أذكر، وبعده انتقلت إلى سجن القناطر الخيرية وهو السجن الرابع وعدت مرة أخرى إلى سجن القاهرة حيث تم الإفراج

٢- نجيب الكيلاني، لمحات من حياتي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨ م، ص ١١١٢.

٣- انظر: المشكاة، ص ١١.

الأول منه. وفي عام ١٩٦٥م جئت إلى أبو زعبل وهو السجن الخامس ثم إلى معتقل أبو زعبل الجديد، أما ذهابي إلى السجن السابع وهو الأخير فقد كان في ١٩٦٦م وهو سجن مزرعة طره<sup>(٤)</sup>.

## ب- أعماله الأدبية

ويعتبر الكيلاني في مقدمة الأدباء الإسلاميين المعاصرين من حيث غزارة الإنتاج وتنوعه وتأليفه. فقد كتب أكثر من سبعين كتاباً في الرواية والقصة والشعر والنقد... وكان في سائر كتاباته أديباً موهوباً محلقة متمكناً من أدواته الفنية داعياً إلى الخير والفضيلة والتسامح وغيرها من القيم الإنسانية والإسلامية. كما نجده يبعد عن الإسفاف والإباحة والعرى ويهتم بمشكلات الشعوب الإسلامية والعالم الإسلامي، ففي عالم الرواية - وهو ميدانه الأخصب - استلهم التاريخ الإسلامي في كتبه: نور الله، وقاتل حمزة، وعمر يظهر في القدس. واستلهم واقع الشعوب الإسلامية في كتبه: عذراء جاكرتا التي تناولت الحرب الضروس بين الشيوعية والشعب الإندونيسي والتي راح ضحيتها أكثر من ربع مليون مسلم<sup>(٥)</sup> وقد ترجمت هذه الرواية إلى الإندونيسية، و ليالي تركستان التي عرض فيها لمشكلات شعب تركستان المسلم المضطهد، وعمالقة الشمال التي تناولت مشكلة المسلمين في نيجيريا، والظل الأسود التي تناولت مشكلات المسلمين في الحبشة وسردت الكثير من الحقائق التاريخية التي يجهلها كثير من المسلمين والمهتمين بأمورهم. وهذا المنهج الرائع الذي كشف عن معاناة المسلمين في هذه الأقطار منهج متفرد للكيلاني يعتبر الرائد فيه.

أما في القصة القصيرة فقد استلهم التاريخ والواقع والمهنة كما نرى ذلك في كتبه: فارس هوازن، وموعنا غدا، وحكاية طبيب، والعالم الضيق، وعند الرحيل، والكابوس، ودموغ الأمير. وفي ميدان النقد أصدر كتاب: الإسلامية والمذاهب الأدبية، وإقبال الشاعر النائر، ورحلتي مع الأدب الإسلامي، وآفاق الأدب الإسلامي. وفي ميدان المسرح: على أسوار دمشق، وحول المسرح الإسلامي، وعلى أبواب خير، ونحو مسرح إسلامي، ومحكمة الأسود العنسي، والوجه المظلم للقمر. وفي ميدان الفكر أصدر: تحت راية الإسلام، والطريق إلى اتحاد إسلامي، وأعداء الإسلام، وحول الدين والدولة. وفي مهنته كطبيب أصدر: الغذاء والصحة، ومستقبل العالم في صحة الطفل، واحترس من ضغط الدم، والدين والصحة، وفي رحاب الطب النبوي. وفي السيرة الذاتية لمحات من حياتي في خمسة أجزاء نجد أنها سيرة صريحة يتحدث فيها باسمه

٤- المشكاة، ج ٥، ص ١٠٦.

٥- عبد الله عقيل سليمان، من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، دار التوزيع والنشر، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ/

٢٠٠٢م، ص ٦٢٩.

عن نفسه ويتحدث عن مراحل حياته.

ويرى البعض أن الكيلاني جمع بين التنظير والتطبيق، فله الإسلامية قياسًا على المذاهب الفنية الأخرى، مثل الكلاسيكية والرومانسية، وقد تساهل الكيلاني في رواياته في قضية الالتزام الكامل بالأدب الإسلامي كرواية رأس الشيطان، والذين يحترقون، والكأس الفارغة، وليل العبيد، وليل الخطايا. أما روايته الأخيرة فكتبت حول المقالات والنقد وهو يقول بنفسه عنها:

"أما رواية ليل الخطايا ... فإن قرائي لا يرونها الآن، ذلك لأني منعت إعادة طبعها، ولهذا لم تطبع إلا مرة واحدة في دار الفكر بدمشق والسبب في منع نشرها هو أن هذه الرواية كانت بها جرعة زائدة من تصوير المشاعر والعواطف بين المرأة والرجل كما أنها تتعرض لمشكلة الخيانة الزوجية التي أمقتها أشد المقت" (٦).

ثم كان الكيلاني شاعرًا له مكانة معروفة الذي ترك لنا حوالي تسعة دواوين، منها المطبوعة، ومنها المخطوطة. فأما المطبوعة فهي: نحو العلاء، وأغاني الغرباء، وعصر الشهداء ومُهاجر، وكيف ألقاك، ومدينة الكبائر. وأما المخطوطة فهي: الأمل الطريد، ولؤلؤة الخليج، وأغنيات الليل الطويل.

ونرى أن كل إنتاج الكيلاني ذو هادفية مؤمنة، وعمق، وشفافية متصوفة تبدو كومض الخاطر بين السطور. وهو جاد وعميق ومؤثر، ومتصل أوثق الاتصال بروح هذا الشعب. ويملك التأثير في حياة قومه التي كان واحدًا من أفذاذها المتفردين.

والكيلاني في شعره ينطق بالفن الأصيل، ذي الضوابط والغايات، عبر اللفظة الموحية، والنغمة الربانية، والتلمس الراهف (٧) لقواعد الفن الجميل، حيث يقول:

أنا لست أرضى أن أعيش بشاطئ الدنيا غريب في معقل الصمت الكئيب (٨) على ثرى (٩) واد رهيب  
الحزن أغنيتي وأحلامي يوشيهها (١٠) الشحوب (١١)

٦- نجيب الكيلاني، لمحات من حياتي، ج ٣، ص ١٨٠.

٧- الرقيق واللطيف، انظر: إبراهيم أنيس وعبد الخليم منقر وغيرهما، المعجم الوسيط، مادة "رهف"، ج ١، ص ٣٧٧، طبع من قبل مجمع اللغة العربية، القاهرة.

٨- حزين، انظر: المرجع السابق، مادة "ك"، ب، ج ٢، ص ٧٧١.

٩- الأرض، انظر: نفس المرجع، ج ١، ص ٩٥.

١٠- يزخر فيها ويطرزها ويزينها. انظر: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٠٣٥-١٠٣٦.

١١- جمع شاحب وهو التغيير بمعنى الوجه المصفر كوجه المريض. انظر: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٧٤.

أنا لست أرضى أن أكون صدى (١٢) هزياً (١٣) في الدروب (١٤)

إن الحياة على الغريب أشق من هول الممات

مضجوعة (١٥) النجوى معذبة الخواطر والسمات

وشروقها مثل الغروب، وشدوها (١٦) لحن النعاة

فهى الفراغ المدلهم (١٧) ومدفن للأمنيات

وقد استطاع الكيلاني أن يوظف كثيراً من آليات الفن القصصي في شعره، فاستخدم الرمز والقناع والحوار والسرد والتعبير المتلاحق، والارتداد والمفارقة، واللقطات المقطعة من خلال الأشكال والمضامين التعبيرية المتفردة.

خدماته

لما أكمل الكيلاني دراسته في كلية الطب بالقصر العيني بدأ عمله أو سنة الامتياز بمستشفى أم المصريين بالجيزة وبعد سنة الامتياز أو التدريب أصدرت الحكومة قانون تكليف الأطباء للعمل بالريف، ثم اختار قريته شرشابة.

ثم عمل كطبيب في القسم الطبي بهيئة السكك الحديدية في شارع الجلاء بالقاهرة. وهكذا ارتقى الكيلاني كثيراً من المناسب فهو عضو مؤسس لرابطة الأدب الإسلامي. وكذلك تقلد منصب المستشار الأول لوزير الصحة بالإمارات العربية المتحدة لمدة عشر سنوات ثم أصبح مدير التثقيف الصحي بوزارة الصحة إلى أن أحيل إلى المعاش في عام ١٩٩٢م (١٨).

وفاته

غادر الكيلاني مصر سنة ١٩٦٨ م، وعاش قرابة الثلاثين عاما خارج البلاد في الكويت ودولة الإمارات العربية، ثم أصيب الدكتور الكيلاني بمرض خطير في آخر حياته وأدخل المستشفى التخصصي

١٢- رجع الصوت يردده الجبل ونحوه. انظر: المرجع السابق، مادة "ص دي"، ج ١، ص ٥١١.

١٣- ضعيفاً. انظر: المعجم الوسيط، مادة "ه ز ل"، ج ٢، ص ٩٨٥.

١٤- جمع الدرب وهو: كل مضيق في الجبل (الطريق المعروف): انظر: المرجع السابق، مادة "د رب"، ج ١، ص ٢٧٧.

١٥- المضجع المنام وضجعه، أي: أنامه. انظر: المرجع السابق، مادة "ض ج ع"، ج ١، ص ٥٣٤.

١٦- الإنشاء والغناء. انظر: المرجع السابق، ج ١، ص ٤٧٥.

١٧- المظلم. انظر: نفس المرجع، ج ١، ص ٢٩٥.

١٨- جابر قميحة، "نجيب الكيلاني والقصة الشعرية"، الفيصل، العدد ٢٥٠، يناير ١٩٩٥م، ص ٧١.

بالرياض على حساب خادم الحرمين الشريفين، وامتد به المرض شهورا طويلة قاربت السنة ولم يكن يعلم بخطورة المرض الذي كتبه الطبيب عنه كما كتّمته زوجته الصابرة، وابنه الطبيب المرافقان له. ثم عاد الكيلاني إلى مصر، وقضى أواخر أيامه صابراً محتسباً يصارع المرض حتى وافاه الأجل في الخامس من شهر شوال ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، حيث توفي ودفن بمصر (١٩).

وقد رثاه جمع غفير من الشعراء من داخل مصر وخارجها كمحمد عبد الجواد الشاعر المصري صاحب ديوان عند الفجر موعدنا، ومحمد عبد القادر صاحب ديوان إيقاعات على أوتار البيّنة ومحمد شلال الحناحة أديب أردني له ديوان نخلة في يدي، ومحمد زيدان وعبد العظيم من رابطة الكتّاب الأردنيين (٢٠). وكما رثاه الدكتور حسن الأمrani رئيس تحرير مجلة المشكاة المغربية تحت عنوان: "مَنْ لِلأدب بعدك؟" (٢١)، والدكتور عدنان علي رضا النحوي "رثاء نجيب الكيلاني"، والدكتور صابر عبد الدايم "رحيل الشمس" (٢٢).

### ج- الشعر العربي في العصر الحديث

إن الشعر العربي مرّ منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى اليوم بثلاثة أدوار يتراوح كل منها بين خمسين و ستين سنة.

### الدور الأول:

هو دور تقليدي في الشعر والنثر، وظل الشعر في هذا الدور على ما كان عليه من حيث الخيال في العصر العثماني، فقد كانت تخنقه صور البيان بمظاهر التكلف، ويجري على سنّة التقليد في المدح والهجاء والرثاء والتواريخ الشعرية والغزل، إلا أن هذا الأدب الذي يطغى التقليد عليه يختلف عن أدب الانحطاط في سلامة لغته وميل عبارته إلى الجزالة وقوة السبك، ومحاولته تقليد العطاء من شعراء وكتّاب العصور العباسية، ولعل أكبر جهود الدور الأول من أدوار النهضة يتجلى في سعيه إلى صقل اللغة العربية وإزالة ما تراكم فوقها من صدأ إبان عصر الانحطاط، ومحاولته نشر الفصحى بين الناس وجعلها في متناول الكتّاب والصحفيين والقراء جميعاً (٢٣).

١٩- انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، ص ٦٣١.

٢٠- انظر: الأدب الإسلامي (عدد خاص عن الكيلاني)، ص ٧٦ وما بعدها.

٢١- المشكاة، ص ٢٧، من أعلام الدعوة والحركة المعاصرة، ص ٦٣٣.

٢٢- الأدب الإسلامي، ص ٢٥.

٢٣- انظر: عبد القادر، تاريخ الأدب العربي من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، مدير دائرة المعارف الإسلامية الأردنية، جامعة بنجاب بلاهور، ص ٥٤١-٥٤٢ (بتصرف)، آزاد بك دبو، أردو بازار لاهور، باكستان.

## الدور الثاني:

هذا الدور يقع ما بين منتصف القرن التاسع عشر ونهاية الحرب العالمية الأولى. وفي هذا الدور ضعف الاهتمام باللفظ، وارتفعت معاني الشعر بعض الارتفاع واتسع فيه مجال الخيال، وتبدلت بعض أغراضه، وسلك الشعراء مسلك الشعر الإفرنجي في وصف المناظر الطبيعية، وأحوال الوجدان والعواطف النفسية، وما إلى ذلك (٢٤). ولعل أبرز من أعاد إلى الشعر في تلك الفترة إشراقه وبهجته محمود (٢٥) سامي البارودي (٢٦).

## الدور الثالث:

هو دور التجديد والنهضة الفعلية التي استوت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، خلا فيه الشعر نهائيا من ذكر الديار والآثار. وتعدد الموضوعات ضمن القصيدة الواحدة لتسوده وحدة في النظم. وفي الشعر الحديث ابتدعت فنون جديدة لم تكن لدى القدماء، معظمها مستمد من الأدب الغربي، لكنها ذات نكهة عربية رغم ذلك كالقصة الشعرية والملحمة والمسرحية. ومن مزايا الشعر الحديث أيضًا التفنن البياني وخاصة الرمزية التي يتجلى فيها تجرده، وحرية الإخراج في النظم، بحيث نشأ عن ذلك ما يسمى بالشعر الحر والمنثور، وله رواج في أيامنا هذه. كما نجد أيضًا أن الشعر العامي تكاثر في النهضة في الآونة الأخيرة بمصر وسوريا ولبنان (٢٧).

## تطور الشعر العربي الحديث ومدارسه

وقد سبق أن الشعر العربي في العصر الحديث مرَّ بثلاث مراحل أساسية تمثل حركة تطوره، وقد تميز في كل مرحلة منها بخصائص فنية مميّزة ولهذا اصطلاح على تسمية كل مجموعة من الشعراء تتفق أشعارهم بعامية في خصائصها الفنية مدرسة شعرية، ومن ثم نقول: إن شعراء المرحلة الأولى من حياة الشعر

٢٤- انظر: المرجع السابق، ص ٥٤٢.

٢٥- ينتمي إلى أسرة ذات جاه ونسب قديم، فكان أبوه حسن حسيني البارودي من قادة المدفعية، درس بالمدرسة الحربية، وتخرج فيها سنة ١٨٥٤م في عهد عباس الأول، وكانت ملكة الشعر كامنة في حنايا صدره، فاهتم بالتراث العربي شعرًا ونثرًا وقلد فحول الشعراء، وأتقن التركية وتعلم الفارسية والإنجليزية، وتوفي عام ١٣٣٢هـ/ ١٩٠٤م. انظر: عبد القادر، تاريخ الأدب العربي من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، ٢٠٠٢م، ص ٥٤٥-٥٤٦.

٢٦- انظر: تاريخ الأدب العربي من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، ص ٥٤٢.

٢٧- انظر: المرجع السابق، ص ٥٤٣.

العربي الحديث يمثلون مدرسة، وإن هذه المدرسة سميت في وقت مبكر بالمدرسة الاتباعية ثم تسميتها أخيراً بالمدرسة الكلاسيكية الجديدة. يلي هذا شعراء المرحلة الثانية، وهم يمثلون مدرسة شعرية أخرى سميت بالمدرسة الابتدائية، واصطلح على تسميتها أخيراً بالمدرسة الرومنسية. أما المرحلة الثالثة فقد أطلق على شعرائها اسم مدرسة الشعر الحر أحياناً، والشعر المطلق أحياناً أخرى، وهي تعرف في العموم باسم مدرسة الشعر الجديد. وهذا التطور الذي تحقق في الشعر العربي الحديث على أيدي الشعراء الذين يمثلون تلك المدارس قد تأثر بمدارس الأدب الغربي في العصور الحديثة(٢٨).

وفيما يلي استعراض للمدارس الشعرية الثلاث، التي مثلت حياة الشعر العربي في العصر الحديث:

#### ١- المدرسة الكلاسيكية الجديدة

أصدق اسم أطلق على هذه المدرسة هو مدرسة الإحياء أو البعث، فقد وجد محمود سامي البارودي - مؤسس هذه المدرسة - الشعر العربي جثة هامدة(٢٩) أضعفه التقليد الذي يأمر بتزيين الشعر بالمحسنات اللفظية والمعنوية التي يظنها الشعراء أنها الفن. فأكثرها منها، ونوعوا فيها وقد درس البارودي النماذج الشعرية الشاخنة في العصور الأولى ووقف عليها فأعجب بها، وعاش معها وتشبع بفنها، حتى صار كأنه واحد من أبناء هذه العصور، يشعر كما شعروا، ويعبر كما عبروا. فلما قال قصائده كانت نمطاً من قصائدهم. واحتذى البارودي القدماء في الإطار الخارجي للقصيدة، فحافظ فيها على البحر الواحد والقافية الواحدة، والتزم وحدة البيت. وكذلك احتذى القدماء أيضاً في موضوعاتهم وفي معانيهم وصورهم. وقد انتشرت هذه المدرسة في داخل مصر وخارجها، على أنه لا ينبغي أن نتصور شعراء هذه المدرسة قد وقعوا نهائياً في أسر القصيدة العربية القديمة شكلاً ومضموناً، لأنهم كانوا يلتقون كذلك إلى أنفسهم معبرين بعض الجوانب التي تمس حياتهم الخاصة، كما يرتبطون بقضايا مجتمعاتهم السياسية والوطنية، والاجتماعية ويعبرون عن موقفهم من هذه القضايا. وبهذا قد أضافوا بعض الملامح الجديدة إلى القصيدة العربية القديمة(٣٠).

#### ٢- المدرسة الرومنسية

وقد أدت عوامل كثيرة إلى ظهور النزعة الرومنسية في الشعر العربي الحديث، منها: تغير الظروف

٢٨- انظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، ص ٨٨٥-٩٥٠ (باختصار).

٢٩- مُتَعَفِّنة وفاسدة، انظر: المعجم الوسيط، مادة "همد"، ج ٢، ص ٩٦٣.

٣٠- انظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص ٨٨-٨٩ (بتصرف).

والأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية التي مرت بها البلاد العربية، واتصال الشعراء العرب بالنتاج الشعري لشعراء الرومنسية الغربيين، والتمرد على النهج التقليدي الذي سارت عليه المدرسة الكلاسيكية الجديدة في بناء القصيدة وموضوعاتها وأسلوب الأداء الشعري.

وقد وضحت النزعة الرومنسية في الشعر العربي الحديث في مدرستين متعاصرتين ومتشابهتين إلى حد بعيد. الأولى بدأها الشاعر خليل مطران وروجت لها مدرسة الديوان، وأما الثانية فهي مدرسة المهاجر الأمريكي، وفي مقدمتهم جبران خليل جبران.

ذهب من دار في فلك هذه المدرسة - المدرسة الرومنسية - إلى:

- ١- أن الشعر تجربة شعورية لها طابعها الفردي.
- ٢- ونزعو إلى الشعر الوجداني الذي يحمل سمات صاحبه النفسية، ويرز شخصيته المتميزة.
- ٣- وأكدوا وحدة الموضوع في القصيدة.
- ٤- ودعوا إلى ضرورة تحقق البناء العضوي للقصيدة، وأنكروا وحدة البيت.
- ٥- أما دور الخيال فقد أولوه عناية خاصة.
- ٦- ولم يشغلهم من أمر البناء الموسيقي إلا القافية الموحدة، إذ رأوا فيها رتبة مملعة للسامع، فدعوا إلى القصيدة التي لا تلتزم فيها القافية الموحدة، بل ينتهي كل بيت منها بقافية خاصة. وأخيرًا، أن هذا الجيل من الشعراء الرومنسيين قد أدخل قدرًا كبيرًا من التجديد على شكل القصيدة، يتمثل فيما يلي:

- ١- تحريرها من وحدة القافية في كثير من الأحيان، واستخدام عدد من القوافي في القصيدة الواحدة، قد يقل وقد يكثر، مع توزيعه على وحداتها.
- ٢- تخليص القصيدة من الموسيقى الصاخبة، والاستعاضة عنها بموسيقا هادئة.
- ٣- تقسيم القصيدة إلى مقاطع، كل مقطع منها يمثل وحدةً بنائيةً معنوية، تحل محل وحدة البيت في القصيدة التقليدية.
- ٤- الإكثار من استخدام الصور الحسية المفردة والصور المركبة على السواء (٣١).

### ٣- المدرسة الجديدة

غلبت النزعة الرومنسية على الشعر العربي في الحقبة الواقعة بين الحربين العالميتين، واشتد تيارها قوة. ثم جدت في الحياة عوامل جديدة على المستوى العالمي والوطن العربي وقد عملت هذه العوامل على انحصار تيار الرومنسية شيئاً فشيئاً وبروز تيار آخر في ميدان الأدب بعامة، تغلب عليه النزعة الواقعية. وإليك بيان ذلك:

#### عوامل التغيير

- ١- انتهاء الحرب العالمية الثانية في سنة ١٩٤٥م، بعدما ألحقت بشعوب أوروبا من دمار، وشعوب العالم أجمع من هزات اقتصادية واجتماعية وفكرية.
  - ٢- بداية الصراع المذهبي في أعقاب هذه الحرب، بين المعسكر الشرقي بزعامه الاتحاد السوفيتي والغربي بزعامه الولايات المتحدة الأمريكية.
  - ٣- قيام حركات التحرر الوطني في البلاد المستعمرة في قارتي آسيا وإفريقيا.
  - ٤- انتشار ألوان من الثقافة الغربية بين المثقفين العرب.
- هذه العوامل وغيرها أدت إلى تكوين مناخ فكري وأدبي في الوطن العربي، استتبع في ميدان الشعر محاولات جادة للخروج به من طريق الرومنسية إلى آفاق الواقع الرحب الجديد (٣٢).

#### مقدمات الشعر الجديد

- ١- إن الشعر تعبير عن معاناة حقيقة للواقع.
- ٢- إن كل قصيدة هي تجربة إنسانية منفردة.
- ٣- إن موضوعات الشعر هي موضوعات الحياة بعامة.
- ٤- إن الشعر ليس مجرد مجموعة من العواطف والمشاعر والأخيلة، بل هو طاقة تعبيرية فيها كل القدرات الإنسانية.
- ٥- إن للشعر وظيفة حيوية في ميادين مختلفة.
- ٦- يسعى إلى تحقيق حياة أفضل، تسودها العدالة والطمأنينة والسلام.
- ٧- اعتمد الشعراء إلى حد بعيد على الموسيقى الداخلية.

وهذه المقدمات التي استحدثتها المدرسة الشعرية الجديدة ظهر وجه آخر للشعر العربي في هذا العصر، مع ما يلقي من اختلاف الآراء حوله (٣٣).

### المبحث الأول: التجربة الشعرية لنجيب الكيلاني

الشاعر المثالي هو الذي يعتبر نفسه أميناً على الرسالة التي أوجب على نفسه أن يؤديها على وجهها الأكمل - في مصداقية وإخلاص - في توجيه النفس والسمو بها، وإسعاد المجتمع الإنساني، ناشراً أنوار الهدى والقيم الأخلاقية العليا والحقيقة والجمال في كل مكان. وكان نجيب الكيلاني واحداً من هؤلاء، إذ أنه كان يرى أن الأدب وسيلة لا غاية، فالأدب - في نظره - يجب ألا يكون سياقاً لمجرد الإمتاع وبعث النشوة في نفس المتلقي، ولكن لكي يؤدي رسالة إنسانية تربوية تتلخص في غرس القيم العليا، وتهذيب النفوس، وتربية السلوك. وكان يقول صراحة: "إنني أديب داعية يستشعر المسؤولية وأهمية نشر الرسالة الخالدة" (٣٤).

وقد أخذ الكيلاني نفسه بهذا الالتزام في كل إبداعاته الشعرية والشعرية، ونكتفي في مقامنا هذا بإلقاء إضاءة على شعره في حدود هذا النطاق، فهو يرفض شعر الكذب والنفاق والنفعية، ويقول:

أُرِيدُ الفَنَّ أَنْ يُلْهَبَ رُوحَ الغَصْبَةِ الكُبْرَى

يُسَكِّلُ جِيلَنَا الحيران .. يُزَكِّي فِكْرَهُ الحُرّاً

يطاردُ حَيَبَةَ الآمالِ والإلحادِ والفقرِ

يَفِيضُ على الرُّبَا عدلاً، ويملاً رَوْضَهَا بَرّاً

يُتَرَجِّمُ عَن هُدَى الإِيمانِ في أيامِنَا الحَيْرَى (٣٥)

وقد بسط الكيلاني رأيه هذا في كتبه التي نظر فيها للأدب الإسلامي، وفي محاضراته، وأحاديثه عن الفن والأدب كما أنه أخذ نفسه بها نظر، وكان بأدبه تطبيقاً عملياً قاله وكتبه على سبيل التنظير (٣٦).

إذن الكيلاني كان "شاعر رسالة"، وعاش طيلة حياته بشعره وخلقه وسلوكه مستجيباً - دون افتعال تعنت - لمقتضيات هذه الرسالة.

إن الشعر ظاهرة اجتماعية تتغير والشاعر إنسان يتأثر بالعوامل الخارجية والداخلية وهي مؤثرة

٣٣- انظر: حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص ١٠١-١٠٢ (بتصرف شديد).

٣٤- نجيب الكيلاني، الإسلامية والمذاهب الأدبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٤٠.

٣٥- نجيب الكيلاني، عصر الشهداء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ص ١٦.

٣٦- جابر قميحة، شعر نجيب الكيلاني، ندوة الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة، ج ٢، ص ٤١٠-٤١٢ (بتصرف شديد).

على تفكيره وسلوكه. فمن هنا نجد شعر نجيب الكيلاني قد مر على أربع مراحل، ومعرفة كل واحدة منها تساعدنا في إجادة هذا البحث الذي نحن بصدده. يقول جابر قميحة: لشاعر - أي شاعر - مسيرة فنية من منبعه إلى مصبه... هو نهر واحد، تتصل أول نقطة من منبعه بآخر نقطة في مصبه على طول مسيرته ومجراه. ولكن وحدة النهر لا تنفي اختلاف هذا المجرى الطويل: فبعض أجزائه يفوق - في عرضه - أجزاء أخرى، وقد يمر في مسيرته بمنحدر يشتد عليه تدفق الماء، ويعلو هديره، وقد تبطئ مسيرته في منطقة صخرية تعوق سرعته وتدفعه، وقد يحمل في منطقة من الرواسب والنباتات العضوية المخضبة ما يجرمه من منطقة أخرى. "فوحدة" النهر إذن لا تنفي "تعددية" مراحل مجراه ومسيرته في الصفات والملامح، ولكنها - على تعددها - مرتبطة بالنهر الكبير ارتباط الجزء بالكل. وهي قاعدة كونية مطردة قد لا يكون لها استثناء. ومسيرة الشاعر تمر كذلك بمراحل حيوية يرتبط بعضها ببعضها الآخر ارتباطاً عضوياً، وتخضع في درجات مختلفة أو متفاوتة لمنطق التفاعل وتأثراً وتأثيراً بالعوامل والمعطيات الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية. واستقراء شعر نجيب الكيلاني يضع أيدينا على مراحل أربع في مسيرته الشعرية هي:

١- مرحلة البداية والترسم.

٢- مرحلة الترشد وثبوت الذات.

٣- مرحلة الامتداد الناضج.

٤- مرحلة الفتور والذبول.

ولكل مرحلة أبعادها وسماتها وطوابعها الموضوعية والفنية (٣٧).

#### المرحلة الأولى: البداية والترسم

بدأ نجيب الكيلاني شاعراً قبل أن يكون قصاصاً وروائياً، ففي بداية حياته الأدبية، وقبل أن يتجه إلى القصة - عاش محباً للشعر، مشغولاً به، يحفظ كثيراً منه لكبار الشعراء، ويحاول تقليدهم، ونظم بعض القصائد في حياته الأدبية الباكرة، وهو يدرس في المرحلة الثانوية. وكانت منظوماته الشعرية الباكرة تحفل بالموضوعات التاريخية والدينية والمناسبات السياسية، وكان يحلو له أن يكون شاعر الحفل في المناسبات الشائعة آنذاك.

٣٧- انظر: كتاب مؤتمر الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة، تحت رعاية: محمد سيد طنطاوي، عبد الله بن المحسن التركي

رئيس رابطة الجامعات الإسلامية، ورئيس المؤتمر أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ومقرر المؤتمر أ.د. عبد الحليم

عويس، في الفترة من ١١-١٣/٣/١٤٢٠هـ.

ولكن هذا الاتجاه الجالد القوي إلى الشعر لم يستمر طويلاً، فاتجه إلى القصة لأنه على حد قوله: "استطاع أن يجد فيها مجالاً أرحب لما يريد أن يقوله" (٣٨). وهو لم يعط القصة حقها من الوقت والجهد إلا بعد أن حوكم سياسياً، وصدر ضده حكم بالسجن عشر سنوات مع الشغل، فأصبحت القصيدة - من وجهة نظره - أضيّق من أن تحمل ما يثور في داخله من براكين، وما يحتمل في نفسه من مشاعر الغضب والضيّق والثورة. ولا يعني ذلك أنه انقطع عن نظم الشعر، فقد استمر نظمه له مواكباً لكتابات القصة والأدبية، ودراساته الإسلامية، ولكنه كان مقلاً في هذا المجال إذا قيس إبداعه الشعري - من ناحية الكم - بإبداعاته وكتابات الأخرى.

ويذكر نجيب أنه بدأ كتابة الشعر في أواخر المرحلة الابتدائية وهو في سن الثالثة عشرة، وكان شعراً إبدائياً قليل التجربة، يميل إلى التقليد (٣٩). ولم ينشر هذا الشعر، ولم يعرض نجيب شيئاً منه في سيرته الذاتية أو أحاديثه.

وكانت أول قصيدة تنشر له - على المستوى العام - قصيدة طويلة من خمسة وثلاثين بيتاً، بعنوان: "النور بين أيادينا" سنة ١٩٤٨ م، وكانت سنه آنذاك قرابة الثامنة عشرة (٤٠). وطبع نجيب أول دواوينه وهو في أواخر المرحلة الثانوية سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م، وعنوانه: نحو العلاء.

#### المرحلة الثانية: مرحلة الترشد وثبوت الذات

#### أغاني الغرباء أو السجنيات الشعرية

يعد ديوان أغاني الغرباء البداية الحقيقية لشاعرية نجيب الكيلاني، وهو الديوان الذي ضم بين دفتيه السجنيات الشعرية، أي: القصائد التي نظمها في السجن، وتصور معاناة الشاعر السجين، وجنبايات الظلم والظالمين على صفوة أبناء الأمة، وتتسع دائرة هذا اللون من الأدب لما هو أكثر وأبعد مدى من ذلك، كما سنرى. وأغلب قصائد هذا الديوان نظمها الشاعر في الفترة من أواخر سنة ١٩٥٥ م إلى سنة ١٩٥٧ م، وهو رهن السجن أو السجون، فقد قبض عليه وسبق إلى السجن في السابع من أغسطس سنة ١٩٥٥ م. وهذا يعني أن بين قصائد ديوان نحو العلاء، وديوانه هذا خمس سنوات على الأقل، وهذه السنوات الخمس لم تخل من إبداعات شعرية، ولكنها - كما يقول نجيب - ضاعت في خضم الأحداث.

٣٨- نجيب الكيلاني، لمحات من حياتي، ج ١، ص ٥٩.

٣٩- المصدر السابق، ج ١، ص ٥٩.

٤٠- المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٤.

ويؤكد هذا انعدام التدرجية الفنية من ١٩٥٠م-١٩٥٧م إذ أن الديوان الجديد يمثل قفزة تشعر القارئ ببعد المدى الفكري والفني والأسلوبي بين الديوانين. وبعض قصائد هذا الديوان استطاع نجيب أن يسر به إلى مجالات أدبية، وخصوصاً مجلة الأدب التي كان يصدرها أمين الخولي، فنشر بعضها بعناوين مختلفة عن عناوينها في الديوان، كما أن بعضها نشر غير كامل<sup>(٤١)</sup>. وكاد هذا الديوان - في صورته المخطوطة - يلحق بقصائده السنوات الخمس السابقة على سجن نجيب، تلك التي فقدت فلا ندري، ولا يدري صاحبها عنها شيئاً، ففي حملة تفتيشية داخل السجن استولى الضباط على "الكراسة" التي حملت اسم "أغاني الغرباء" وقرأ ما ضمت من أشعار، وأحالتها إلى مدير السجن مطالباً بتقديم نجيب إلى المحاكمة مرة ثانية، وهو الذي يقضي بين الأسوار حكماً بالسجن لمدة عشر سنوات لم يمض منها إلا القليل. ولكن مدير السجن كان مهذباً، وقرر الاكتفاء بحرق كراسة الشعر، فاعترض نجيب على ذلك اعتراضاً شديداً بلغ للمدير.

وكانت المفاجأة أن جاءه أحد الضباط بعد يومين، وسلمه الديوان المخطوط، وهمس في أذنه "هذا هو الشعر... خذه، لا تطلع عليه أحداً، وأخرجه من السجن بأية وسيلة، لأننا قد أعلننا أن الديوان قد حرق"<sup>(٤٢)</sup>. واستطاع نجيب أن يهرب هذا الديوان المخطوط عبر الأسلاك عن طريق أحد أقرابه. وظل الديوان مخطوطاً لم يظهر في طبعته الأولى إلا سنة ١٩٧٢م، أي: بعد تهريبه بقراءة خمسة عشر عاماً.

وهذا الديوان الذي نظمه الشاعر في السجن جاء تصويراً صادقاً لمحنة الشاعر في سجنه، وهو بذلك يعد نموذجاً متكاملًا لأدب السجون - وهو الأدب الذي يصور فيه السجن بطريقة مباشرة صريحة، أو طريقة رمزية غير مباشرة المعاناة التي عاشها أو يعيشها في السجن - وأبعاد العلائق بين المسجونين وحكام السجن لبعض النماذج والأنماط البشرية التي يرصدها السجن، ويصورها بقلمه، وخصوصاً الشخصيات السيكيوباتية الغربية الأطوار. ويلجأ السجين الأديب كذلك إلى الربط بين حياة السجن، وما في المجتمع من اختلالات سياسية واجتماعية، وغالبًا ما يلجأ إلى الرمز والإسقاط المتواري.

ومن ناحية الاستشراف النفسي المستقبلي تتراوح نظرة الأديب السجين بين أمل مشرق يتدفق بالتفاؤل، وبين يأس مطبق يصبغ كلماته بلون قاتم حاد. وكثير من هذه الإبداعات تنزع نزعة روحية عقدية في تبرير محنة السجن ومعاناته، والنظر إلى هذه التجربة على أنها ابتلاء وتربية نفسية وروحية بعيدة المدى<sup>(٤٣)</sup>.

٤١- جابر قميحة، مؤتمر الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة، ج ٢، ص ٤٣٥.

٤٢- نجيب الكيلاني، لمحات من حياتي، ج ٢، ص ٢٦٩.

٤٣- المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٣٦-٤٣٧.

وكانت حياة السجن عميقة الأثر في نفس نجيب وأدبه، فلم تخل دواوينه الأخرى، ومنها ما طبع بعد هذا الديوان بسنوات، من قصائد عديدة تمثل أدب السجن، فمنها في ديوانه عصر الشهداء قصيدة "مدرسة الرعب" (٤٤).

وفي ديوانه كيف ألقاك قصائد: ليل وقضبان (٤٥)، أركب الصعب (٤٦)، الشيطان (٤٧)، كيف ألقاك (٤٨)، خواطر سجين (٤٩). وفي ديوانه مدينة الكباطر قصائد: سعاد والسجين (٥٠)، عالم الثعالب (٥١)، الدكتاتور (٥٢).

وباستقراء أدب الكيلاني شعره ونثره نجد أنه قد وسع مع قاعدة أدب السجن وآماده من ناحية الأجناس الأدبية أو الأشكال الفنية، وكذلك من ناحية المضامين والمفاهيم: فنرى سجنياته تظهر في دراسة ميدانية كاملة باسم "المجتمع المريض"، وفي عدد كبير من القصص القصيرة، منها - على سبيل المثال قصة البحث عن منى، وقصة القافلة ونرى هذا اللون من الأدب كذلك في عدد من الروايات منها رحلة إلى الله، ورواية ليل وقضبان التي صدرت في طبعها الأولى باسم ليل البعيد.

فإذا ما حصرنا نظرتنا في الإبداع الشعري، وخصوصاً أغاني الغرباء وجدنا أن الأصل الموضوعي لهذا الشعر هو ارتباطه الوثيق بالسجن مكاناً يفقد الإنسان فيه حريته، ويحرم فيه المعاملة الإنسانية، وكثيراً من ضرورات الحياة، مما يعمق الألم والأسى في نفس الشاعر، ويسم تجربته الشعورية بالتوهج والصدق. وتتسع رؤية الشاعر، وتزداد تجربته توهجاً وشمولاً، فيرى أن السجن أكبر وأبعد من أن يكون محصوراً بين حيطان وأسوار، بل يرى في الوطن كله سجنًا كبيراً: مسلحينه وأسراه هم ملايين الشعب المقهور المطحون،

- 
- ٤٤ - نجيب الكيلاني، عصر الشهداء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص ٦٣.
- ٤٥ - نجيب الكيلاني، كيف ألقاك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٧.
- ٤٦ - نفس المرجع، ص ١٠.
- ٤٧ - نفس المرجع، ص ٤٧.
- ٤٨ - نفس المرجع، ص ٥٥.
- ٤٩ - نفس المرجع، ص ٦٣.
- ٥٠ - نجيب الكيلاني، مدينة الكباطر، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٣٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٣٥.
- ٥١ - نفس المرجع، ص ٥٠.
- ٥٢ - نفس المرجع، ص ٦٣.

ويكون الشاعر في هذه الحال نهب شعورا حادا بالغرابة الروحية. وقد يتحول السجن والقضبان والسجان إلى مجرد رموز للظلم والطغيان والقهر والعدوان أيًا كانت صورتها.

والخلاصة - تأسيسها على المفاهيم السابقة - أن شعر السجون عند الكيلاني لم يرتبط بصفة دائمة بحيزه المكاني المعروف، ولا زمنيًا بالمدة التي قضاها بين جدران السجن، بل إن تجربته امتدت خارج هذا الحيز الزمني والمكاني، ووجهت إبداعه، وأثرت فيه تأثيرًا بالغًا، سواء أتم ذلك بالوعي أم باللاوعي.

وتمثلت هذه التجربة في عمل شعري كامل أي قصيدة سجنية كاملة وقد تتسرب بعض بصمات هذه التجربة لتظهر في بعض الأبيات التي تعالج موضوعات لا علاقة لها - في ظاهرها على الأقل - بالسجون وأدب السجون، إلا أن الحقيقة التي لا يستطيع أي دارس لأدب الكيلاني وحياته وشخصيته إنكارها هي أن تجربة السجن ظلت ضاربة الجذور في نفسه، وبقيت لها امتداداتها في وجدانه، وأنها كانت صاحبة الفضل الكبير في إبداع هذا العطاء العبقري في صورتيه الشعرية والنثرية.

#### المرحلة الثالثة: مرحلة الامتداد الناضج

والترتيب الزمني لطبع دواوينه - بعد ذلك يأتي على النسق التالي:

١- عصر الشهداء.

٢- كيف ألقاك.

٣- مهاجر.

٤- مدينة الكبائر.

وهذه الدواوين مضافاً إليها بعض قصائد ديوانه المخطوط أغنيات الليل الطويل، تمثل مرحلة فنية في مسيرته الشعرية يمكن أن نطلق عليها مرحلة "الامتداد الناضج":

١- فقد كانت مضامين هذه الدواوين مرتكزة على المضامين الفكرية والموضوعية والفنية لديوان أغاني الغرباء، وامتداداً لهذه المضامين.

٢- كما أن هذه المضامين جاءت في صورة ناضجة. وبعضها - بل كثير منها - أوسع مدى، وأنضج فناً، وأعمق فكرًا من مضامين أغاني الغرباء، وهذا ما نفصل فيه القول فيما يأتي:

كان لتجربة السجن مكانها الرحب في أغاني الغرباء، كما عرضنا - ببعض التفصيل سابقاً - وقد أنجبت هذه التجربة ما أسميناه بالسجنيات، أو أدب السجون الشعري، ولم يتوقف هذا النوع من الأدب بخروج نجيب من السجن، بل أخذ طريقه وامتداداته الحميدة إلى قصائد الذاتية، ولكنها أخذت في بعض

امتداداتها صورة نقد مر للحاكم والحكم الذين اختلت في حياتهم وأنظارهم المعايير.  
فالجلاد لم تعد مهمته محصورة داخل أسوار السجون، بل امتدت مهامه، واتسعت دوائر هيمنته،  
وأصبح الأتقياء والأبرياء - خارج الأسوار - في عداد المجرمين الأشقياء:

فالحرفُ أَمْسَى مُشْنَقَةً  
والرَأْيُ إِثْمٌ سَادِرٌ  
إِنْ تَبْتَسِمُ فَأَنْتَ سَاخِرٌ  
وَقَبْضَةُ الْجَلَادِ قَادِرَةٌ  
إِنْ تَمْتَعُضُ فَذَلِكَ جُرْمٌ بَالِغٌ  
وَقَبْضَةُ الْجَلَادِ قَادِرَةٌ  
وَإِنْ تَبَلَّلَتْ أَهْدَابُكَ بِالسَّوْدَاءِ  
فَأَنْتَ حَاقِدٌ عَلَى الْأَوْضَاعِ  
حَرْبٌ عَلَى الْجِيَاعِ  
وَمُنْجَزَاتُ الشَّائِرِينَ  
وَأُمْنِيَاتُ الْمُتَعِيِّينَ  
وَيُخْلِدُ الْمُفَكِّرُونَ  
لصُّومَعَاتٍ مَظْلَمَةٍ  
الصَّمْتُ وَالْمُنُونُ  
وَنظَرَةُ الْجُنُونِ  
وَالرُّعْبُ وَالسُّجُونُ  
تَلْفٌ حَزَنَ الصَّوْمَعَةِ  
وَسَقْفُهَا يَبِينُ تَحْتَ خُطْوَةِ الْحُرَّاسِ  
وَضِجَّةِ الْكِلَابِ وَالْأَجْرَاسِ  
ثُمَّ اخْتِلَاطِ الْمَوْتِ بِالْأَعْرَاسِ  
ضَاعَتْ مَعَالِمُ الْأَشْيَاءِ  
فِي عَالَمٍ مِنَ الرَّقِيقِ وَالْإِمَاءِ

في عالمٍ من العظاء

بلا ضياء (٥٣)

وصور هذا الأدب كيف أصبحت المحنة أمة بأسرها مزقها بغي الظالم وجوره. كما يقول الكيلاني:

قد أحالَ البغيُّ اللئيمُ بلادي

بعد إذلالها بقايا خرائب..

أقفز السائح من هتاف شجاع

يُرخصُ الرُوحَ لا يهابُ العقارب (٥٤)

وفي هذه الحال المنكودة يتحول الوطن الكبير إلى مدينة الكباثر التي تعيش على القيم والمعايير

الحسيسة المختلفة، فلا مكانة ولا شرف فيها إلا لكل آثم لص، وداعر حقير:

ما أرخصَ الإنسانَ في مدينةِ الكباثر!

ما أبشعَ الإنسانَ في مدينةِ الكباثر!

ما أحقرَ الإنسانَ في مدينةِ الكباثر!

إذ لَيْسَ في لُصِّصِها شَرِيفٌ

النَّدْلُ حُرُّ اللُّصِّ حُرٌّ

وكلُّ مَنْ يُدَمِّرُ النِّقَاءَ والوفاءَ والصفاءَ حُرٌّ

ويغسلُّ الأحرارَ والأطهارَ حُرٌّ

فَكَيْفَ يا مَدِينَتِي

أصَبَحْتَ ماوى العُهرِ والقَراصِنَةِ؟

وصرْتَ يا مدينتي مُسْتَنْقَعَاتِ آسِنَةِ؟

وكيفَ تَمَرُّحُ الذنابُ والكلابُ والشَّعالبُ؟

ويُرسِفُ الأباةُ في الحَدِيدِ.. في الزَّرائبِ

وتَصَدُّ القِيُودُ

والليلُ كالعَقِيمِ

فَكَيْفَ يُولِدُ الصَّبَّاحَ

في حُلُكَةِ الأَقْداحِ والنباحِ والجِرَاحِ؟

٥٣- انظر: جابر قميحة، مؤتمر الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة، ج ٢، ص ٤٥٤، ٤٥٥.

٥٤- المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٥٥.

السَّيْفُ كَالسَّجِينِ

فِي عُمْدِهِ الْحَزِينِ!

العَارُ.. كُلُّ الْعَارِ.. يَا مَدِينَةَ الْكِبَائِرِ

إِنْ لَمْ يَثْبُ مِنْ لَيْلِكَ الطَّوِيلِ تَأْتِرُ

يَشْرَعُ الْحُدُودَ لِلْكِبَائِرِ

وَيَزْرَعُ السَّلَامَ وَالصَّفَاءَ وَالْمَحَبَّةَ

فَقَدْ تَصَيَّرُ هَذِهِ الْقُصُورَ

مَدِينَةً مِنَ الْقُبُورِ وَالصُّخُورِ (٥٥)

وفي أغاني الغرباء نزعة صوفية تظهر فيها بصمات "محمد إقبال"، فقد كان نجيب معجبا به وبفلسفته، وكتب عنه كتابا فاز بجائزة حكومية، وتظهر هذه النزعة في قصيدة له بعنوان "القلندري الجديد" والقلندرية طائفة من الصوفية لها بعض انحرافات، وجاء الشاعر الفيلسوف محمد إقبال، وجعل من القلندري نموذجا لفلسفته الجديدة، ونفى عنه انحرافات وتهويماته، بحيث أصبح تجسيداً لأفكار إقبال وفلسفته الإسلامية، والشاعر نظم هذه القصيدة سنة ١٩٥٦م في ذكرى إقبال، واستوحاها من فلسفته العظيمة، وفيها يقول:

وَهَبْتُ لِلْحَقِّ نَفْسِي مَلَأْتُ بِالصَّفْوِ كَأْسِي

لِللَّهِ صَمْتِي وَهَمْسِي وَثُورِي .. وَشُكُونِي

وَحَاضِرِي وَتِلَادِي

خَلَعْتُ عَنِّي ضُرُورِي وَعَفْتُ كُلَّ الشَّرُورِ

هِيَهَاتَ أُنْسَى مَصِيرِي حَيَاتُنَا خَفَقُ بَرَقِ

أَوْ قَبْضَةً مِنْ رَمَادِ

إِنْ صَاقَ كُونِي فَقَلْبِي رِيَاضُ طُهْرٍ وَحُبِّ

نَادَةٌ فَكُنْتَ الْمَلْبِي هِمَمَاتِ الضَّحَابَا

فِي كُلِّ نَجْدٍ وَوَادٍ (٥٦)

٥٥ - نجيب الكيلاني، مدينة الكبائر، ص ٥٨-٥٩.

٥٦ - انظر: جابر قميحة، شعر نجيب الكيلاني، ص ٤٥٧.

وأدل هذه القصيدة على النزعة الصوفية عند الكيلاني قصيدة نظمها في العام نفسه بعنوان

"صوفيات" جاءت على نظام المقاطع الرباعية، ونجتزئ منها بالمثل الآتي:

لا تَطْنُ الأَسْوَارَ سِجْنًا عَتِيدًا      إِنَّمَا السِّجْنُ كَانَ مِنْ صُنْعِ نَفْسِي  
لَوُتُّ غَايَتِي وَعَاثْتُ فَسَادًا      فِي كَيَانِي، وَوَلَوْتُ يَوْمَ عُرْسِي  
تَقَلَّبَ الحُزْنَ رَاحَةً وَهَنَاءً      وَتَحِيلَ الأَفْرَاحَ أَشْجَانُ يَوْسَ  
لَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ المِيسِرِ إلهي      إِنْ أَعْدَى الأَعْدَاءَ يَا رَبِّ نَفْسِي (٥٧)

وتكاد النزعة الصوفية عند الكيلاني في أغاني الغرباء تتوقف عند القيم الروحية المثالية بمفاهيمها

العامية، من الزهد في الدنيا، والندم لجرائر النفس الأمانة بالسوء، ونشيدان المثل الأعلى، والتطلع إلى الكمال النفسي والروحي.

ولكن هذه النزعة بعد أغاني الغرباء تطورت من "التجريدية الروحية" إلى "المعايشة الفعلية" لواقع

الأمّة العربية والإسلامية: تصويرًا شاكيا دامعا، واستصراخًا صاخا، واستنهاضًا قويا دافعا، ففي قصيدة في الطريق إلى يثرب<sup>(٥٨)</sup> بعد أن يتحدث الشاعر عن "ذوب الجوي"، و"اهتزازات الشوق"، و"خفقات

القلب"، و"نبح الهدى"، و"الحب المكين"، يتجه بحديثه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا:

... يَا نَبِيَّ اللهِ جِئْنَا أُمَّةً      هَدَّهَا الخُلْفُ وَأَدَمَّاها المَجُونُ  
وَسَرَى الخَوْفُ إِلَى أَرْبُعِهَا      كَوُلُوغِ الداءِ فِي القَلْبِ الحَزِينِ  
نَسِيتُ تَارِيخَها وَانفَلَتَتْ      تَسألُ الأَشْبَاحَ عَن مَضَى اليَقِينِ  
وَتَرَاثُ الدِينِ أَضْحَى كَوْمَةً...      مِنْ دَمَارِ وَضِياعِ وَظُنُونِ (٥٩)

وفي شعر هذه المرحلة (مرحلة الامتداد الناضج) غلب الطابع القصصي على أغلب القصائد،

وتنوعت الأشكال القصصية. فمن قصص السجون: زلزال الرفض<sup>(٦٠)</sup>، ومن القصص الرمزي قصيدة:

٥٧- المصدر السابق، ص ٤٥٧.

٥٨- نجيب الكيلاني، عصر الشهداء، ص ٢٩.

٥٩- جابر قميحة، شعر نجيب الكيلاني، ص ٤٥٨.

٦٠- نجيب الكيلاني، مهاجر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٢٥.

الذئب<sup>(٦١)</sup>، و ليلي المريضة<sup>(٦٢)</sup>. ومن قصص القناع: بين عنتر وعيلة<sup>(٦٣)</sup>. ومن أقاصيص الأحداث اليومية: أم الحباث<sup>(٦٤)</sup>.

#### المرحلة الرابعة: مرحلة الفتور والذبول

وهذه المرحلة الرابعة والأخيرة في مسيرته الشعرية يمثلها بعض قصائد ديوانه المخطوط أغنيات الليل الطويل، وأغلب قصائد لؤلؤ الخليج، وهو مخطوط أيضًا، وأغلب قصائد هذا الديوان الأخير نظمت في الثمانينيات أثناء حياته في دبي.

والمعروف أنه غادر مصر في ٣١/٣/١٩٦٨م، وعمل بدبي طبيبًا، وكلف من وزارة الصحة الاتحادية بإنشاء المجلس الطبي، والصحة المدرسية، والطب الوقائي، والتثقيف الصحي، وكان مسؤولاً عن كل هذه الأقسام في وقت واحد. ثم ترقى وظيفيًا إلى درجة مدير إدارة، وتخصص في التثقيف الصحي، وزيادة على ما سبق أصبح مستشارًا خاصًا لوزير الصحة. وتطلب منه هذا العمل مهام كثيرة منها حضور المؤتمرات وإعداد وتقديم برنامج صحي يومي في إذاعة أبو ظبي وإعداد النشرات والكتيبات الصحية عن الأمراض السارية.

والخلاصة أن أهم العوامل التي أدت إلى فتور شعره إلى درجة الذبول، وقلة إبداعه في هذه المرحلة الرابعة التي أرى أنها تستغرق السنوات العشر الأخيرة من مهجره الخليجي، وهي عقد الثمانينيات، ومطلع التسعينيات:

- ١- استهلاك القدر الأكبر من قدراته في العمل الحكومي الوظيفي والأعمال الفنية الإعلامية، والأعمال الفنية الأدبية الثرية، والكتابات الإسلامية.
- ٢- استقراره المعيشي ماديًا ونفسيًا، والشعور في المهجر بالأمن والاطمئنان بعيدًا عن القلق والحيرة والتوجس والمشاعر التي تذكى العاطفة وتفجر الشاعرية، وتجد في الشعر معبرها المثالي.
- ٣- تقدم السن، وابتعاده زمنيًا عن مركز الإثارة والتأثير المتمثل في تجربة السجن، فهي التي فجرت شاعريته في أغاني الغرباء والدواوين التي تحدثنا عنها في المرحلة الثالثة.

---

٦١- نفس المرجع، ص ٣٩.

٦٢- نجيب الكيلاني، عصر الشهداء، ص ٦٦.

٦٣- نفس المرجع، ص ٥٥.

٦٤- نجيب الكيلاني، كيف ألقاك، ص ٢٢.

ونقدم مقتطفات من شعر هذه المرحلة مرحلة الفتور والذبول يبين عن طبيعتها ومظاهرها، وذلك من آخر دواوين الكيلاني لأولوة الخليج الذي ما زال مخطوطاً حتى الآن:

١- فأغلب الديوان قصائده قصيرة ومقطوعات مستقلة قد لاتزيد على عدة أبيات، وكثير منها لا يخلو من تكلف وكلمات جلبت للقفائية، وبعض الأخطاء النحوية، والكسور العروضية، كما أن المعاني أديت بأسلوب صحفي دارج كالأبيات الآتية، وعنوانها "المجاهدون" (٦٥):

تحرروا من إيسارِ الذلِّ وانطلقوا	ولم يهابوا عتاةَ البغيِ واستبقوا
الحرُّ يأنفُ من قيدِ ينوءُ به	وعزمه في رَجيبِ الأفقِ منطلقُ
لا تَسْتَفِيمُ حياةَ البغيِ مهما علَّتْ	بها الأمانِي والأحلامُ تَحترقُ
المؤمنون قياداتٌ وألويةٌ	وهم بينَ نيرانِ الوعى صدقوا
مُطَهِّرون أشداءٌ ملائكةٌ	وما تناوشهم صَعْفٌ ولا ملقٌ
نَسيدهم منْ كتابِ الله مُقتبسٌ	وجهادهم برسولِ الله مُلتحقٌ

وكثير من الصور تقريرية لا يخلو من غثائفة وبرودة كما نرى في قوله من قصيدة "العادون" (٦٦)،

وهي عن العدوان العراقي على الكويت:

مزجوا مياه البحر - وهي حياتنا	بالسُّمِ واعتالوا نَقَاءَ الماء
فَتَلُّوا بها الأسماكُ وهي بريئةٌ	نقموا على المُرْجانِ والأحياءِ
بَعَثُوا المنايا السُودَ في قلبِ السِما	خَفَرُوا صفاءَ السُّحْبِ في الأَجواءِ
كم قرية جارت وبادت في الألى	ومَضَى أكابُرُها إلى الإِفناءِ

وأحيانا لا يوافق الشاعر في اقتباساته من التراث العربي، ففي قصيدة "عاصفة التتار" (٦٧) وهي

عن غزو الكويت يناجي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:

يا أحمدُ المرتجى في كُلِّ نازلةٍ	الأدعياءُ بما أُرْسِلتَ قَدْ جَهلوا
تَمَسَّحوا بِرداءِ الدِّينِ وا أسفا	وهُم على عداوتِهِ بالأَمْسِ قَدْ جَبَلُوا

ففي البيت الثاني كسر عروضي واضح، أما سابقه فهو محمّل بوزرين:

٦٥- جابر قميحة، شعر نجيب الكيلاني، ج ٢، ص ٤٦٧.

٦٦- نفس المرجع، ج ٢، ص ٤٦٨.

٦٧- جابر قميحة، شعر نجيب الكيلاني، ج ٢، ص ٤٦٨.

الأول: وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه "مرتجى في كل نازلة"، المرتجى هو الله وليس صلى الله عليه وسلم.

والثاني: أن الشطر الأول مقتبس من شاعر عربي قديم، كُفّرهُ الفقهاء بقوله، وهو:

يا أحمد المرتجى في كل نائبةٍ قُمْ سيدي نَعَصِ جِبَارَ السموات

وقصيدته الأم وهي عن دبي بعنوان "لؤلؤة الخليج" شكلها الشاعر من صور جزئية حسية متراسة، وقوالب لفظية تقليدية تفتقر إلى قوة الإيحاء والأسر، ولا تعبر عن عمق التجربة التي عاشها الشاعر في هذه البقعة كما نرى في الأبيات الآتية:

بَارَكَ اللهُ دُبِيَا ورعى	إِنَّ فِيهَا الأَمْنَ والرِزْقَ معا
دَرَّةٌ تَزْهَى على كُلِّ الدُّنَى	عَدْلُهَا الصَادِقُ غَطَّى الأَرْبُعَا
يَسْجُدُ التَّارِيخُ في أَهْبَائِهَا	خَاشِعًا يَنْسَالُ نورًا ساطعا
ذِكْرُهَا فَوْقَ الثَّرِيَا شامخٌ	مَجْدُهَا حَازَ المَحَلَّ الأَرْفَعَا

والديوان على ما فيه من مظاهر الضعف الشعري فنا ومضى ليس فيه موضوعيا إلا ما يقطع بثبات نجيب الكيلاني رحمه الله على دربه الرسالي العقدي، فكان كما عرفناه الأديب الشاعر الداعية.

ولا ينقص من قدر نجيب الكيلاني أن يصاب شعره في سنة الأخيرة بالفتور والوهن، فهذه هي سنة الحياة، وليس هو بدعا في ذلك، كما أن شعره لم يكن هو أهم إبداعاته كما يشهد الواقع، ويشهد هو نفسه، فنجيب الروائي، ونجيب الكاتب الإسلامي والمنظر للأدب الإسلامي في مقام نجيب الكيلاني بإسلامياته، وأعماله القصصية والروائية، وإبداعاته الشعرية، قدم خدمات جليلة خالدة للإسلام وللعروبة والفن والأدب، يرحمه الله.

المبحث الثاني: الأغراض الشعرية

درج الشعر العربي منذ عرفناه فتيا على أغراض قلما يخرج عنها نحو: الفخر، والغزل، والهجاء، والثناء... وأكثر الشعراء في العصر الجاهلي يجمعون أكثر من غرض في قصيدة واحدة، يقول ابن قتيبة: "سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا، وخاطب الربيع، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها... ثم وصل ذلك بالنسيب... فإذا علم أنه استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النصب والسهر، وسري الليل وحر الهجير... فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق

الرجاء... بدأ بالمديح" (٦٨).

وهكذا نفهم من كلام ابن قتيبة أن القصيدة العربية كانت تحمل أكثر من غرض "وإن كنا لسنا معه في ما ادعاه أن غاية الشاعر العربي القديم من إنشاد القصائد هو التكسب" (٦٩) فمثلاً نرى طرفة (٧٠) يقف على الأطلال ويستوقف، يقول (٧١):

لَحْوَلَةُ أَطْلَالٍ بِرِقَّةٍ تُهَمِّدُ      تَلُوْحُ كَبَاقِيِ الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ  
وَقَوْفَا بِهَا صَحْبِي عَلَى مُطْيِبِهِمْ      يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّدِ

ثم ينتقل من الوقوف على الأطلال، إلى ذكر الحبيبة، وبيان نسيبه نحوها، ثم إلى وصف الناقاة، فيقول:

وَإِنِّي لَأَمْضِي الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ      بَعُوْجَاءِ مِرْقَالِ تَرَوْحٍ وَتَعْتَدِي

ثم ينتقل إلى الفخر، فيقول:

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مِنْ فَتَى خِلْتُ أَنِّي      عَنِيتِ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

ثم يذهب إلى الحكمة، فيقول:

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا      وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ

وهكذا نرى طرفة قد جمع في معلقته أكثر من غرض، وما ذلك إلا لحياتهم البسيطة المحدودة، إذ كانوا يفتشون الأرض، ويلتحفون السماء، بيوتهم الخيام، وشرابهم الماء واللبن، وطعامهم اللحم، وعملهم الصيد والحرب، هكذا كانوا، لذلك من السهل أن يصور الشاعر تلك الحياة كلها.

حينما جاء الإسلام تهذبت تلك الأغراض، وأخذت طابعا إسلاميًا، ولذلك يقول الله تعالى:

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوْنُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

٦٨- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م، ص ٧٤-٧٥.

٦٩- علي عشري زايد، النقد الأدبي والبلاغة في القرنين الثالث والرابع: المصادر والقضايا، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد- باكستان، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص ٣٠-٣١.

٧٠- طرفة: ٥٣٨-٥٦٤م، هو طرفة بن العبد بن سفيان الوائلي، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، ولد في بادية البحرين، اتصل بالملك عمرو بن هند فجعله من ندمائه، ثم أرسله بكتاب إلى المكعب عاملة على البحرين يأمره بقتله، وله ديوان الشعر مطبوع. خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج ٣.

٧١- الزوزني، شرح المعلقات السبع، دراسة وتحقيق: لجنة لتخصيص في الدار العلمية، ص ٤٥ وما بعدها.

٧٢- سورة الشعراء، الآيات: ٢٢٤-٢٢٦.

ومن هذا المنطلق ظهرت موضوعات جديدة، تتناسب مع الحياة الجديدة التي عاشها الناس إبان العهد الإسلامي الأول.

لما جاء العصر الحديث ظهرت الموضوعات الجديدة بعضها لم يكن شعراء فترة الانحطاط على إلفِ بها، وبعضها لم يعتنوا بها ذلك الاعتناء، وإن كانت معروفة لدى شعراء العرب منذ القديم كالشعر الوجداني مثلاً فقد أصبح الشعر مرآة المجتمع، وساعد هذه حركة الإحياء التي استجاب لها الشعراء في جميع الأقطار العربية، وهكذا قد رأينا الموضوعات المختلفة في دواوين نجيب الكيلاني، ومن تلك الموضوعات، الموضوعات التالية:

#### أولاً: المديح

المدح غرض شعري قديم، وهو بيان الشئ الطيبة وتعداد الصفات الجميلة، والتي يكون الممدوح متصفاً بها. ومن دوافعه حبه للمدوح، أو الإعجاب بفضله وكرمه وعلمه وورعه... وقد يكون الدافع مادياً، حيث يكون الطمع إلى نيل عطائه دافعا للمدح. قال بعض علماء اللغة: "المدح بمعنى الوصف الجميل، ويقابل الذم، والمدح مصدر، والمدحة بالكسرة اسم، والأمدوحة بالضم: ما يمدح به من الشعر، وجمع مديح مدائح، وجمع أمدوحة أمدايح" (٧٣). والمديح باعتباره غرضاً من أغراض الشعر شاع في نتاج كثير من الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي أمثال النابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى حينما أعجب شعراء الجاهلية بالرجال المتفوقين من الملوك والوزراء والأغنياء من حيث الخلق والشجاعة والكرم والجود فأصبح حرفة لاكتساب المال (٧٤).

ولكننا نلاحظ بأن الشاعر لم يتطرق في مديحه إلى باب المدح المتجامل سلوكه غير قليل من الشعراء، ويقول الكيلاني صراحة: إنني أديب داعية يستشعر عظم المسؤولية، وأهمية نشر الرسالة الخالدة (٧٥). وهكذا يصرح الكيلاني في شعره أنه يرفض الأدب القائم على الكذب والزيف والضجيج، ولكن أكثر من الشعراء بالغوا في ممدوحهم مما قل من شأن الشعر ورسائله وصار سلعة رخيصة ووسيلة دنية للاستزاق.

#### أ- المدائح النبوية

تنوعت الموضوعات التي نظم فيها الكيلاني ولكنه أكثر في نجاويه المحمدية كعادة الشعراء وربما

٧٣- انظر: محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٦هـ، ج ٢٥، ص ٢٢٠، ٢٢١.

٧٤- انظر: سامي الدهان، المديح من فنون الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ص ٧١، ٧٢.

٧٥- انظر: جابر قميحة، شعر نجيب الكيلاني، ص ٤١٦.

يعود ذلك إلى الاحتفالات بعيد الميلاد النبوي التي تقيمها الشعوب في البلاد الإسلامية والشاعر كثيرا ما يمدح النبي صلى الله عليه وسلم أو يخاطبه أو يشكو إليه مصائب الأمة الإسلامية وكوارثها ولا يعني هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم يسمع شكواه في قبره وإنما هي مناجاة روحية يبث فيها أشواقه وحنينه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويحكي الشاعر آلام أمته وهمومها، فيقول الشاعر في قصيدته:

فأص بي الواجدُ واستطارتُ شجوني      ورماني النوى بوادٍ صنين  
يا رسولَ الأنامِ أنتَ إمامي      أنتَ نبعُ الهدى ومأوى الحزين  
في الرحابِ الحُضراءِ جئتُ عليلاً      أنتَ البرءُ من سِقامٍ دفين<sup>(٧٦)</sup>

يريد الشاعر إسماع المسلمين وتحريك نفوسهم ليستيقظوا من سباتهم العميق، قال:

وجعلتُ نومَ الظالمينَ مؤرقاً      وبَدَرْتُ رُوحَ البعثِ في قلبِ الثرى<sup>(٧٧)</sup>  
رويتها بدمي وصيبِ أدمعي      حتى استقامَ بناؤها واخضوصراً<sup>(٧٨)</sup>

وقف الشاعر في الرحاب الطاهرة دافع القلب يناجي حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم

ويمدحه قائلاً:

أنا ما مدحتُ سِوَاكَ يا خَيْرَ الوَرَى      والسائرين على طريقك للذرى<sup>(٧٩)</sup>  
أنا يارسول الله خَلَفَكَ سائرٌ      أَيَصَلُّ مَنْ أَصْحَى بِدَرْبِكَ سائراً  
أنا يا رسول الله حُبُّكَ ديدني      حاشاي أن أنسى العهودَ وأنكراً<sup>(٨٠)</sup>

أتى الشاعر مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ورأى الزائرين على أبوابه محتشدين يمدون أكف الضراعة لله سبحانه ليكون أمجادهم وتاريخهم المزهرة كأن الشاعر في شوق شديد إلى تلك الرحاب المقدسة يقول:

٧٦- نجيب الكيلاني، كيف ألقاك، ص ١١.

٧٧- اللين المسرور، المعجم الوسيط، ج ١، ص ٩٥.

٧٨- نجيب الكيلاني، مدينة الكباثر، ص ٥.

٧٩- الاستتار للحفظ والحماية: انظر: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٣١٦.

٨٠- نجيب الكيلاني، مدينة الكباثر، ص ٥.

يا سيدي وإمامي والهدى قدراً  
خَشَعْتُ فِي جَنَابَاتِ الْبَيْتِ أَنْتَظِرُ  
طَالَ أَنْتَظَارِي وَبَحْرُ الدَّمْعِ مُنْدَفِعُ  
وَذَكَرَاتِي هِيَ الْبُرْكَانُ (٨١) يَسْتَعْرِ (٨٢)

ويعود الشاعر تارة أخرى إلى الناس ويصف ضراعتهم المخلصة إلى ربهم، فيقول:

صَبَّحَ الْحَجِيجُ أَسَىً وَانْسَابَ مَدْمَعُهُ  
فَصَبَّحَ مَنْ مَعَهُ الْأَرْكَانُ وَالْحَجْرُ  
شُدُّوا الرِّحَالَ لِقِيَا الْمُصْطَفَى أَمَّا  
أَعَسَى خُطَاهُ الْحَنَاءُ (٨٣) الْمُرْدُؤُلُ وَالْحَدْرُ  
صَلَّ الْعِطَاشُ طَرِيقَ النَّبِيِّ وَانْتَشَرُوا  
يَا وَيْحَهُمْ فِي قِيَا فِي (٨٤) الْبُؤْسِ قَدْ تُثْرُوا  
فَاشْفَعْ لَجَلِيلِ الْخَطَايَا وَارُو ظَامِيَهُ  
يَا رَبِّ يَوْمِ بِهِ الْآمَالُ تَزْدَهْرُ (٨٥)

إن الشاعر يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ويخاطبه بأن الرحال تُشدُّ إلى مرقد الشريف من أنحاء العالم، والنفوس تشتاق وتطير إليه حباً، وشغفاً وأنه صلى الله عليه وسلم دليل لهذا العالم الضال التائه الذي بحاجة ماسة لمن يهديه إلى رشده، والعلاج الكافي والشافي للأمراض التي يعاني منها العالم، وأنه نموذج حي

في العدل والإنصاف والخضوع والحلم حتى مع أشد خصومه من قريش مكة، حيث يقول:

رَوَيْتَ الظِّمَاءَ طِوَالَ الْقُرُونِ  
وَقَوَّمتَ كُلَّ عَصِيٍّ رَدِي  
وَقَلَّمْتَ أَظْفَارَ رَهْطِ الطُّغَاةِ  
وَمَكَّنْتَ لِلْعَدْلِ كَيْ هَتَّيْدِي  
تَجَمَّلْتَ بِالصَّفْحِ يَوْمَ الْفَتْوحِ  
وَلَمْ يُغْرِكِ النَّصْرُ بِالْمَعْتَدِي  
فَلَا غَرَوْا إِنَّكَ شَمْسُ الْهُدَى  
وَيَتَّبِعُوكَ بَرِّكَ لَمْ يَنْفَدِ (٨٦)

وعن الوحي المنزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم يصف الشاعر آيات الذكر مرتلة والسنة

الشريفة من فم سيد الخلق وأشرف المرسلين صلى الله عليه وسلم، حيث يقول:

- 
- ٨١- فتحة في القشرة الأرضية تخرج منها مواد منصهرة وغازات وأنجرة، انظر: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٥٢.
- ٨٢- نجيب الكيلاني، عصر الشهداء، ص ٨٩.
- ٨٣- الفحش في الكلام. انظر: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٢٦٠.
- ٨٤- مفردة الغيف، أي المفارة لا ماء فيها مع الاستواء والسعة، انظر: ابن منظور الأفرقي، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج ٩، ص ٢٤٧.
- ٨٥- نجيب الكيلاني، عصر الشهداء، ص ٩٠-٩١.
- ٨٦- نجيب الكيلاني، مهاجر، ص ٤٥.

أَنْتَ الْجَوَادُ وَأَنْتَ رَبُّ الْمَنْزِلِ      حَيِّتَ مِنْ نَدْبِ كَرِيمِ الْمَوْلَى (٨٨)  
 تَنْهَلُ (٨٧) مِنْ فَمِكَ الطَّهْوَرِ رَوَافِدُ      هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ سَلْسَلٌ (٨٩) مِنْ سَلْسَلِ  
 آيَاتِ رَبِّي، وَالْحَدِيثُ، وَكَلِمَا      يَأْتِي بِهِ وَحْيِي لِأَشْرَفِ مُرْسَلِ (٩٠)

#### ب: المدائح الأخرى

مدح الشاعر عدة شخصيات مهمة في تاريخ المسلمين من بينها شخصية البطل جمال الدين الأفغاني الذي جاهد في الأراضي الإسلامية المختلفة عربية وغير عربية مما يدل على نضوج فكره، وحسن إسلامه فلم تأخذه عصبية جنس أو تحيز لعرق وقد أدرك الشاعر عمق فهم البطل المغوار لحقيقة غفل عنها كثير من المسلمين وهي أن الناس بدينهم الإسلام وحدة واحدة لا تتجزأ مهما تباينت الأقطار وتباعدت واختلقت، حيث يقول:

أَيُّهَا الرَّائِضُ فِي الدُّنْيَا الْفِكْرَ      صَائِبُ الْأَرَاءِ كَالسَّيْفِ الْأَعْرَّ  
 فِي حَنَائِكَ فَوْادٌ ذَاكِرٌ      وَلَعَيْنِكَ بَرِيقٌ لَا يَقْرُ  
 وَيَكْفِيكَ كِتَابٌ خَالِدٌ      عَامُرٌ بِالْحَقِّ وَالْآيِ الْأُخْرِ (٩١)

ومن خلال المديح ينفذ الشاعر إلى قلوب المسلمين فيطلب من البطل المجاهد أن يوقظ أمته من

سباتها العميق حيث يقول:

يَا جَمَالَ الدِّينِ أَيْقِظْ أُمَّةً      سَادَهَا الْعَسْفُ طَوِيلًا وَاسْتَقْرَ  
 اْمَلَأْ الْأَفَاقَ تَكْبِيرًا وَلَا      تَلِقْ بِاللَّوْمِ عَلَى الْغَزْوِ الْقَدِيرِ (٩٢)

فالمديح لدى الشاعر وسيلة حيّة لتغيير ما عليه المسلمون من ذل وظلم، يخاطب ضمائر الناس عبر

الثناء على الممدوح والطلب منه أن يقوم بدور المصلح المسؤول، يقول مخاطباً إياه:

٨٧- ابن منظور، لسان العرب، تشرب أول الشرب، ص ١١-١١.

٨٨- الملجأ. انظر: نفس المرجع، ج ١١، ص ٨٥٤.

٨٩- التواتر والتتابع، يقال: تسلسل الماء: جرى في حدود واتصال، المعجم الوسيط، مادة "سلسل" ج ١، ص ٤٤٢.

٩٠- نجيب الكيلاني، مدينة الكباثر، ص ٧٧.

٩١- نجيب الكيلاني، كيف ألقاك، ص ٣٢.

٩٢- المصدر السابق، ص ٣٣.

عُدْ إِلَى التَّارِيخِ وَاقْرَأْ صُحْفَهُ  
إِنْ يَكُنْ سَيْفُكَ سَيْفًا مُسْلِمًا  
وَأْمُحْ بِالتَّوْحِيدِ آفَاتِ الْعُصْرِ  
يَتَهَاوَى كُلَّ فِئَةٍ مُحْتَمِرٍ  
سِرٌّ عَلَى الدَّرْبِ كَمَا سَارَ الْأُلَى  
لَا تَهْبُ خَوْضَ بَحَارٍ أَوْ مُدْرَ (٩٣)

ويذكر الشاعر الأمة الإسلامية بأمجادها بخطابه إلى جمال الدين الأفغاني، حيث يقول:

يَا جَمَالَ الدِّينِ بِأَرْوَاحِ النَّقِيِّ  
وَتَحَدَّثَ عَنْ رِبَاطٍ مُحْكَمٍ  
قُمْ وَرَدِّدْ بَيْنَنَا تِلْكَ الْغُرُزُ  
جَمَعَ الْأَجْدَادَ أَيَّامَ الْغَيْرِ  
يَا جَمَالَ الدِّينِ مَنْ يَقْفُو الْأَثَرَ  
إِنَّمَا التَّارِيخُ ثَبَتَ خَالِدًا  
فِي ثَنَائِهِ مَلَائِينَ الْعَبَرِ (٩٤)

والشاعر تعرض بمدحه إلى شعب أفغانستان المجاهد بقصيدة عنوانها "الفارس" حيث يقول فيها:

سَأَلْتُ الْفَارِسَ الْمَغْوَارَ عَنْ أَمَالِهِ الْكُبْرَى  
عَنِ التَّارِيخِ فِي دَمِهِ... عَنِ الْأَحْلَامِ وَالذِّكْرَى  
مَلَامِحُهُ الَّتِي رَدَتْ... تَضَوَّعَ لَفْظُهَا عَطْرَى  
دَمُ الشُّهَدَاءِ إِذْ يَجْرِي، يَدْبِجُ أُسْطُرًا غَرَا  
وَكَمْ فِي الصَّمْتِ مِنْ مَعْنَى وَأَيَاتٍ تَتْرَى  
سَأَلْتُ الْفَارِسَ الْمَغْوَارَ عَنْ إِسْلَامِنَا الْعَالِي  
وَعَنْ رَايَاتِهِ تَعُو عَلَى هَامَاتٍ أَبْطَالِ  
إِلَى التَّوْحِيدِ دَاعِيهِ يُجَلِّجُ صَوْتُهَا الْعَالِي  
أَجَابَ وَقَلْبُهُ بِدَمِي وَيَنْدِبُ مَجْدَهُ الْخَالِي  
لَقَدْ أَمَسَتْ مَلَاحِمُهُمْ غُثَاءً فَوْقَ أَطْلَالِ  
أَلَا يَا فَارِسِي قُلِّ لِي، لِمَنْ فِي الْأَرْضِ تَتَسَبَّبُ  
أَرَى فِي رَحْفِكَ الْمَيْمُونِ رُوحَ الْحَقِّ تَلْهَبُ  
وَفِي يَمَنَّاكَ قِرْآنٌ، وَسَيْفُ الْمَجْدِ يَنْصَبُ

٩٣- نجيب الكيلاني، كيف ألقاك، ص ٣٤.

٩٤- نفس المرجع، ص ٣٢.

تُعِيدُ حكايةَ الإيمانِ والأجدادِ إذ تَثْبُ  
فَأنتَ القدوةُ المثلى بعصرِ كُلهُ كَذِبُ (٩٥)

يتضح من الأبيات أن الشاعر يسأل الفارس ويكرر سؤاله وأن المسؤول هو الذي صنع التاريخ وكتبه بدمه العطر، وأحيا مجد أسلافنا الأبطال الذين نشروا التوحيد في شرق الأرض وغربها، ويصف الكيلاني رحمة الله هذا الشعب بأن زحفه ميمون وروح الحق يلتهب فيه، وفي إحدى يديه سيف وفي الأخرى قرآن، وهو القدوة المثلى في هذا العصر الذي كله كذب. وهكذا يمدح الكيلاني هذا الشعب بأنه يستجيب لدعوة الأمة الإسلامية ويستحق الخلافة الإلهية.

ثانيًا: الرثاء

يتحدث الشاعر فيه عن المتوفى، فيذكر حسناته ويصف أخلاقه مظهرًا عاطفته المليئة بالحب، والحزن والأسى، والرثاء عند الدكتور نجيب الكيلاني من أهم أغراضه الشعرية التي عبّر فيها عن حزنه وحنينه إلى من يحنه.

رثى الكيلاني عددًا من الشخصيات، ونظم في ذلك قصائد مستقلة، ولعل أهم من رثاهم بشعره: حسن البنا (٩٦) المرشد العام للإخوان المسلمين الذي له خصص قصيدة كاملة في ديوانه عصر الشهداء معنونًا لها "مات الإمام..." حيث يقول:

٩٥- نجيب الكيلاني، مهاجر، ص ٢٢، ٢٣.

٩٦- هو حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا، ولد في سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م كان مؤسس حركة "الإخوان المسلمين" بمصر، وصاحب دعوتهم، ومنظم جماعتهم. ولد في المحمودية (قرب الإسكندرية) وتخرج بمدرسة دار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم واستقر مدرسا في مدينة الإسماعيلية، فاستخلص أفرادا صارحهم بما في نفسه فعاهدوه على السير معه (لإعلاء كلمة الإسلام) واختار لنفسه لقب "المرشد العام" فأقاموا بالإسماعيلية أول دار "للإخوان" وبادروا إلى إعلان "الدعوة" بالدروس والمحاضرات والنشرات فأنشأ في الإسماعيلية "معهد أمهات المسلمين" لتربية البنات تربية دينية صالحة وكذلك أنشأ بالقاهرة جريدة "الإخوان المسلمين" يومية فكانت منبره الكتابي إلى جانب منابر الخطابية، وحدثت كارثة فلسطين فكانت "كتيبة" للإخوان المسلمين فيها من أنشط الكتاب المتطوعة. ولم يمض وقت طويل حتى قام أشخاص (مجهولون) فاعترضوا "البنا" وهو إمام مركز "جمعية الشبان المسلمين" في القاهرة ليلًا فأطلقوا عليه رصاصهم وفروا. ولم يجد من يضمده جراحه وتوفي بعد ساعتين في عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٩م وكان خطيبًا فياضًا، ينحو منحى الوعظ والإرشاد في خطبته، وتدور آيات القرآن الكريم على لسانه منظمًا يعمل في هدوء ويبنى في اطمئنان. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٩٧-١٩٨.

ماتَ غَيْلَةً (٩٧)

أَعْرَفُوا أَحْلَامَهُ الْبِيضَاءَ فِي نَهْرِ الْأَفَاعِي

يَشْتُرُ الدَّمْعَ عَلَى قَبْرِ الشَّهِيدِ

مَاتَ وَالْبَسْمَةَ فَوْقَ الشَّفَتَيْنِ

تَتَحَدَى دَمَدَمَاتِ الْعَاصِفَةِ

لَمْ تَكُنْ تَرْهَبُ أَطْنَانَ (٩٨) الْقَنَايِلِ (٩٩)

هكذا نرى الشاعر يبكي حبيبه والدموع تنهل على خديه، وكله حسرات ولوعات، ويصوره كأنه حيُّ لم يمّت لأن البسمة فوق شفثيه. ثم يصف لنا شجاعته وبسالته كما يرسم حُسن صفاته وجمال سيرته في الناس، قاتلاً:

تَتَحَدَى دَمَدَمَاتِ الْعَاصِفَةِ

لَمْ تَكُنْ تَرْهَبُ أَطْنَانَ الْقَنَايِلِ

لَمْ تُدَنَّسْ (١٠٠) طُهْرَهَا فَرِيَةً قَائِلِ

مَاتَ وَالْبَسْمَةَ فَوْقَ الشَّفَتَيْنِ

مَاتَ وَالْأَرْضُ حَوَالِيَهُ حُشْوَعٌ وَدُمُوعٌ (١٠١)

إن الشاعر يصور كأنه ليس وحيداً في بكائه على الإمام، بل الناس قاطبةً يشاركه ويشاركونه حتى الأرض التي دفن فيها الإمام تبكي عليه.

وللشاعر قصيدة أخرى تحت عنوان "ذكرى الإمام الشهيد" التي جعلها خاتمةً لديوانه مهاجر وهو في هذه القصيدة يخاطب الإمام بمحاسن أخلاقه وخصال حميدة فيه، وينبه أن الأمة الإسلامية بحاجة ماسة إلى أمثاله تنظر مجيئهم بفارغ الصبر لكي ينجوها. ويذكر أنه ترك تاريخاً ماجداً ومائلاً، وإن هو غاب بجسده عن الورى، ولكنه بروح حيٍّ ويعيش بين الناس. حيث إنه جدد في الناس روح الصمود والمقاومة

٩٧- على غفلة منه، انظر: معجم الوسيط، ج ٢، ص ٦٦٧.

٩٨- أطنان جمع طن وهو مقياس للوزن يعادل ألف كيلو غرام: انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ٢٦٨.

٩٩- نجيب الكيلاني، عصر الشهداء، ص ١٠٠.

١٠٠- هي تدنس وجاء بالماضي (لطح) وهذا ليس منطقياً والأفضل أن يقول (تلطح)، انظر: المرجع السابق، ج ٢، ص ٨٨.

١٠١- عصر الشهداء، ص ١٠٠-١٠١.

ضد الباطل، ويقول الشاعر في ذلك:

يا عاشقَ الحقي والمختارِ والسَّنين  
أشرقُ بِنُورِكَ في آكَامِ (١٠٢) ظُلْمَتِنَا  
الحُبِّ جانِبِنَا، والنصرُ خاصِمْنَا  
رُوحِي تعانِي مِنَ الآلامِ والهَمِّ (١٠٣)  
بِلاؤُنَا أَصْبَحَتْ مَرَعِي لذي سفهِ  
نادَيْتُ "يا حسنَ البنا" فما رَجَعْتُ  
عَالُوكَ في ليلَةٍ ظَلَمَاءَ كالحِجَةِ (١٠٤)  
ظُنُّوا دَمَادَكَ تُطْفِي من سَخِيمَتِهِمْ (١٠٥)  
وَسَتَسِيحُ لِعَرسٍ ما يَنْوَأُ بِهِ  
غَالُوكَ كي يَحْفَظُوا لِلْمَلِكِ هَيْبَتَهُ  
وَحَقَّقُوا لِيَنِي صَهِيُونَ غَايَتَهُمْ  
كَنَائِسُ جَلَجَلَتْ (١٠٦) أَجْرَاسَهَا طَرَبًا  
يا قَلْبُ ما لَكَ لا تَنْشَقُّ مُنْفَطِرًا  
يا رَاهِبَ اللَّيْلِ قد ناءَتْ كواهِلُنَا (١٠٧)  
وَأينَ فُرْسَانُ حِقِي كُنْتَ قائِدَهُمْ

يا هادِمًا لِحُصُونِ الشَّرِكِ والوَتَنِ  
وامتُدِّ يَدَكَ لِجَلِيلِ شابٍ في الإحْنِ (١٠٨)  
اللهُ يَعْلَمُ كَمَ يَلْقَى الأذى وَطَنِي  
واستَحَكَمْتُ نُوبَ الأَسْقَامِ في بَدَنِي  
بِعِنا الهُدَى والتَّقَى فيها بلا ثَمَنِ  
رُبُوعِنا غيرَ أَصْداءٍ من الحَزَنِ  
وعَيَّوْ قَلْبَكَ المِعْطَاءَ في كَفَنِ  
وتَحَمَّدُ الشُّورَةَ الكُبْرَى مَعَ الرِّمَنِ  
مِنَ الرِّذائِلِ والإِسْفافِ والفَتَنِ  
ويُصَلِّحُوا ما أَصابَ "القَصْرَ" من وَهَنِ  
إِذْ دَبَّرُوا كَيْدَهُمْ في مَحْفَلِ نَتَنِ  
ورَتَّلُوا صلواتِ المَدْبِجِ الأَسِنِ (١٠٩)  
مِنَ الخُطُوبِ (١١٠) ولا تَنْقُصُ من سَجَنِ (١١١)  
بِكلِ مُعْتَصِبٍ لِلحَكَمِ مُتَمَهِنِ  
قَدِ بايَعُوكَ بِصَدِيقِ دونِها دَخَنِ

١٠٢ - أنال، انظر: المعجم الوسيط، ج ١، ص ٢٢.

١٠٣ - وَاة: اشتد حزنه حتى ذهب عقله، نفس المرجع، ج ٢، ص ١٠٥٧.

١٠٤ - خصومة، انظر: نفس المرجع، ج ١، ص ٧٩٠.

١٠٥ - الحقد والغضب، انظر: نفس المرجع، ج ١، ص ٤٢٢.

١٠٦ - صوت في حركة، انظر: نفس المرجع، ج ١، ص ١٢٨.

١٠٧ - أوائل الليل إلى أوساطه، انظر: نفس المرجع، ج ٢، ص ٨٠٣.

١٠٨ - جمع الإحنة أي الحقد والضغن، نفس المرجع، ج ١، ص ٨.

١٠٩ - المنتن، انظر: نفس المرجع، ج ١، ص ١٨.

١١٠ - الأمور الشديدة، انظر: نفس المرجع، ج ١، ص ٢٤٣.

١١١ - الحزن، نفس المرجع، ج ١، ص ٤٧٣.

نَمَ يا شَهِيدُ مَعَ الأَبْرارِ في سَكَنِ      أنعمَ به أيها "البناء" من سَكَنِ  
ما زالَ جُنْدَكَ في زَحْفِ الهُدَى زُمَرًا      يدعُونَ لِلْمَجْدِ والقرآنِ والسُنَنِ  
وما تَزَّالَ فلسطِينُ مُضَيَّعَةً      ترنو(١١٢)إليكِ بعينِ الشَّوقِ والشَّجَنِ(١١٣)

يخاطب الكيلاني الإمام بأنه يقلع الشرك والوثنية جذورها ويضيء بنوره ظلمات الجهل والظلم وأنه ينقذ الشباب ويهديهم على رشدهم، وأنه اغتيل ظلماً وعدواناً بتأمر اليهود والنصارى عليه وجعلوا قتله عيда لهم يرتلون فيه صلواتهم.

وأخيراً يختم الشاعر قصيدته هذه مخاطباً روح الإمام بأن جيشه يتقدمون ورافعون رايته يدعون الناس إلى القرآن والسنة النبوية وأن فلسطين مضيعة ما زالت تنتظره، لكي ينقذها من الأعداء. ومن رثاهم الكيلاني البطل التلمساني(١١٤):

وقد رثى الشاعر عمر التلمساني ويصف ورعه وتقواه ورباطة جأشه وينسبه بكلمة "عمري" تشبيهاً له بعمر بن الخطاب رضي الله عنه أي أن التلمساني بتقواه وشجاعته كالخليفة الفاروق. يقول بقصيدته عنوانها: دمعة وفاء في رثاء المجاهد الكبير عمر التلمساني، مثلاً:

حَمَلَ العِيبَ في الليالي الشَّهيدَه      شامخَ الرأسِ كالجبالِ العَتيده(١١٧)  
عابداً... خاشعاً وفي مُقلتيه      نَبَضَاتُ التَّقَى، ونورُ العَقيدَه  
رافعاً رايَةَ الجِهادِ بعزمٍ      عُمرِيَّ وأمانياتٍ حَميدَه

١١٢ - ينتظر، انظر: نفس المرجع، ج ٢، ص ٣٧٦.

١١٣ - نجيب الكيلاني، مهاجر، ص ٧٦-٧٨.

١١٤ - هو عمر عبد الفاتح عبد القادر مصطفى التلمساني. ولد في حارة حوش قدم بالغورية قسم الدرب الأحمر بالقاهرة في ٤ نوفمبر، تشرين الثاني، ١٩٠٤م، ونشأ في بيت ثراء كان جده لأبيه من بلدة تلسهان بالجزائر وقد جاء إلى القاهرة واشتغل بالتجارة، وقد رزق من زواجه بأربعة أولاد ذكركين وبنيتين. حصل على ليسانس في الحقوق، فاشتغل بالمحاماة في شبين القناطر. التقى عمر التلمساني عام ١٩٣٣م بحسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين في منزله وبإيعاده، وقد كان لتلمساني منذ توليه منصب المرشد العام سنة ١٩٧٤م خلفاً لحسن المضيبي دور مهم في استقراء جماعة الإخوان المسلمين في مصر، كما تم في عهده نوع من التعاون بين السادات والإخوان في محربه التيار الشيوعي والاشتراكي بعد أن اختار السادات التوجه نحو الغرب. دخل عمر التلمساني في السجن ٣ مرات. وتوفي يوم الأربعاء ٢٢ مايو/ أيار ١٩٨٦م بعد معاناة المرض عن عمر ناهز ٨٦ عاماً. انظر: المعرفة، الأحد ١٨-٨-٢٥-١٤هـ الموافق ٣-١٠-٢٠٠٤م مكة المكرمة.

حَاصِرَتُهُ الذَّنَابُ مِنْ كُلِّ فَجٍ      وهو لَيْثٌ يَبِثُّ فِيهِمْ رُعودَهُ (١١٨)  
بَعَثَ الرُّوحَ فِي مَوَاتِ الصَّحَارِي      والسنونُ العجافُ أَضَحَّتْ وَليدَهُ  
قد غدا القَيْطُ (١١٥) جَنَّةً وَأَرْجَاءً (١١٦)      وظلالاً قُدسيَّةً ممدودة  
كَأَسُهُ الذِّكْرُ.. والصلاة.. وَصَبْرٌ      بيته خيمةٌ بناها وطيدَهُ  
حَفِظَ اللهُ عَبْدَهُ وَرَعَاهُ      ونفى عنه كُلَّ بَلوى شديده  
وَإِذَا صَالَ أَعَزَلَ فِي جِهَادٍ      نَصَرَتَهُ الملائِكُ المَرصودة  
يَوْمَ "بَدْرٍ" تَشَاهَدُ لَيْسَ يُنْسَى      إِنَّ اللهُ فِي الجِهَادِ جُنودَهُ  
فَلتَعِشْ فِي ضَمِيرِ شَعْبٍ وَفِيَّ      كُنْتَ نَبْرَاسَهُ كُنْتَ رَشيدَهُ  
سَوْفَ تَمْضِي عَلَى هُدَاكَ رَجَالاً      نَمْحُقُ الجورَ والأَسَى وقِيودَهُ  
عِشْتَ لِلْحَقِّ دَاعِيًا وَنَصِيرًا      عِشْتَ لِلْحَبِّ كَنَزَهُ وَرَصيدَهُ (١١٩)

يرثي الشاعر هذا المجاهد الكبير، لأنه حمل تبشير النصر للمسلمين ييث فيهم روح الجهاد والمقاومة ضد الباطل، وأعاد لهم الحرية والعز والكرامة. قال تعالى: ﴿وَمَا أَلْنَصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (١٢٠) وأنه تحمل العبء كجبل شامخ الرأس، وهو راهب الليل فارس النهار، يقاتل كالأسد ويخوف أعداءه كأنهم الذئاب، وهو ما زال حيًّا في قلوب شعبه، ويستشرون منه.

#### ثالثاً: الشكوى

شاعت الشكوى من الدهر ومن الناس قديماً، غير أنها اتسعت في هذا العصر سعة شديدة لما كثر البؤس والظنك في حيلة الشعب، فضلاً عن الشعراء (١٢١).

- 
- ١١٥ - صميم الصيف، المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧٧٠.  
١١٦ - انتشار الطيب والريح الطيبة، نفس المرجع، ج ١، ص ١٣.  
١١٧ - شديد الخلق. انظر: سيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس، تحقيق: عبد العزيز مطر، مطبع في الكويت عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٩م، من قبل وزارة الإرشاد والأنباء، ج ٨، ص ٣٤٩.  
١١٨ - جمع رعد وهو صوت يسمع من السحاب، انظر: نفس المرجع، ج ٨، ص ١٠٣.  
١١٩ - نجيب الكيلاني، مدينة الكباثر، ص ١٠-١١.  
١٢٠ - سورة آل عمران، الآية: ١٢٦.  
١٢١ - انظر: شوقي الضيف، عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

ووجد الشعراء معاني معدة في قوالب شعرية فجعلوها غرضاً من أغراض شعرهم. نجد الكيلاني

وهو يشتكي في قصيدته "وتفرق الأحباب" تفرق الأصدقاء والأخلاء والشيب كما يقول:

وَلَى الشَّبَابُ وَعَابَتْ الأَفْرَاحُ	لَكَأَنَّ أَحْلَامَ الصَّبَا أَشْبَاحُ
أَمَسَتْ لَيْلِي الأَنْسِ وَهِيَ كَلِيلَةٌ (١٢٢)	فَبَكَتْ عَلَى ذِكْرِ الهَوَى أَرْوَاحُ
لَمْ يَبَقْ فِي الكَاسِ الخَلِيّ ثَمَالَةٌ (١٢٣)	بَلْ أَثْقَلَهُ أَدْمَعُ وَنَوَاحُ
لَمْ يُخْطِئِ القَدْرُ الخَفِيّ حُشَاشَتِي (١٢٤)	فَتَكَالَبَتْ حَوَالِي مُدَى وَرِمَاحُ
وَسَأَلْتُ عَنِ صَاحِبِي وَأَنْجُمِ مَجْلِسِي	قَالُوا "لَقَدْ كَسَرُوا الكَوْوَسَ وَرَاحُوا"
وَتَفَرَّقَ الأَحْبَابُ وَارْتَحَلَ الهَوَى	لَمْ يَبَقْ لِي إِلا أَسَى وَجِرَاحُ
الشَّيْبُ سَجَنٌ غُلِقَتْ أَبْوَابُهُ	وَالسَّجَنُ كَيْسَ لِبَابِهِ مِفْتَاحُ
أَوَاهُ مِنْ بؤْسِ المَشْيِبِ وَهَوَلِهِ (١٢٥)	أَيَّامُهُ الجُرْدَاءُ جِدُّ شِحَاحُ (١٢٦)
لَا تَنْصَحُونِي بِالتَّصَبُّرِ، قَلَّمَا	يَشْفِي جِرَاحُ مَشِينَا نُصَاحُ
وَلَكْتُ نَصَارَاتُ الصَّبَابَةِ وَالهَوَى	عَصَفَتْ بَيْنَ زَوَابِعِ وَرِيَّاحُ
أُتْرَى يَعُودُ الفُؤَادَ شَبَابُهُ	وَحَلَاوَةُ الأَمْسِ الحَبِيبِ تَبَاحُ (١٢٧)

نرى الشاعر يبدأ القصيدة بـ: "ولّى الشباب" متحسراً على الشباب لأنه مضى وذهب ثم يليه الشيب البتة، وأحلام الصبا صارت أشباحاً، ثم يشكو تفرق الأحباب والأصدقاء لأنهم راحوا ولم يبق له إلا الألم والهجران. ثم يأتي الكيلاني إلى جزء أخير من قصيدته قائلاً "الشَّيْبُ سَجَنٌ غُلِقَتْ أَبْوَابُهُ" ... إلى آخر قصيدته، وقد صار الشاعر في شكواه على ترتيب السنة الكونية بأن الصبا يليه الشباب ثم الشباب يلحقه الشيب، وإنه السجن التي غلقت أبوابه ولن يوجد مفتاح يفتح به تلك الأبواب وتتوالى عليه الهموم والأحزان فنجد يصيح من بؤس المشيب وهوله، وأنه لا يرى فائدة في نصيحة من ينصح بصبر، ثم يكرر

١٢٢ - الضعيفة، انظر: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧٩٦.

١٢٣ - البقية في أسفل الإناء من شراب ونحوه، انظر: نفس المرجع، ج ١، ص ١٠٠.

١٢٤ - بقية الروح في المريض، نفس المرجع، ج ١، ص ١٧٦.

١٢٥ - الخوف والرعب. انظر: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ١٠٠٠.

١٢٦ - قليل، وعسير، وبخيل، انظر: نفس المرجع، ج ١، ص ٤٧٤.

١٢٧ - نجيب الكيلاني، مدينة الكباثر، ص ٢٧-٢٨.

الشكوى بأن الصباية قد ولت ولن تعود لأن زوابع ورياحاً عصفت بهن.

وأخيراً الشاعر يعزي أحياءه بأن لا يخرعوا، لأن هذه سنة كونية ومشية ربانية لا شك فيها. وكذلك يشكو الكيلاني رحمه الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدته سماها "دموع في الروضة الشريفة" حيث يقول:

قَدَفْتُ فِي بَحْرِكِ الطَّامِي بِأَحْزَانِي	لَطَالَمَا عَصَفْتَ الْخَافِقَ الْعَانِي
جَفَّتْ مَدَامِعُنَا مِنْ طُولِ مَا هَطَلَتْ	وَاسْتَحَكَمَ الْيَأْسُ فِي رُوحِ وَوَجْدَانِ
لَمْ يَبْقَ فِي الْعَالَمِ الْمُتَعَوِّسِ مِنْ بَلَدٍ	إِلَّا وَيَعْرِفُ مَا يَجْرِي فِي لُبْنَانِ
جَحَافِلُ الْعَدْرِ بِالْأُرُوحِ قَدْ عَبَّتْ	الْفَتَاكُ يَعْمَلُ فِي شَيْبِ وَشُبَّانِ
جِبَاهُهَا الْخُضْرُ قَدْ أَضْحَتْ مُحْضَبَةً	وَالْأَرْضُ يَبْكِي بِدَمْعٍ مِنْهُ هَتَّانِ
لَا مُسْلِمٌ غَابَ عَنِ عَيْنِ الذَّنَابِ وَلَا	قَدْ احْتَمَى مِنْ جَحِيمِ الْقَسْفِ نَصْرَانِي
كَانَ الْيَهُودُ وَمَا زَالُوا ذَوِي خَدَعٍ	أَجْيَاهُمْ وُلْدُوا مِنْ صُلْبِ ثَعْبَانِ
تَوَاتَرَتْ فِي فَمِ التَّارِيخِ قِصَّتُهُمْ	هَمُّ أَهْلِ عَدْرِ وَتَدْمِيرِ وَبُهْتَانِ
وَأَفْسَدُوا كُلَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ قِيمٍ	لَمْ يَنْجُ مِنْ سَرِّهِمْ قَاصٍ وَلَا دَانِ
مَا بِالْ قَوْمِي فِي النِّكْبَاءِ قَدْ غَفَلُوا	وَاسْتَمَرَّ أَوْ حُلْمًا مِنْ صُنْعِ وَسَنَانِ
تَفَرَّقُوا شِعَاعًا وَانْحَلَّ عَقْدُهُمْ	مَا شَاهَدَتْ مِثْلَنَا فِي الْخَلْفِ عَيْنَانِ
إِنْ نَنْصُرَ اللَّهَ يَرْفَعْنَا بِقُدْرَتِهِ	إِلَى مَرَاتِبِ مَجْدٍ سَامِقِ الشَّانِ
"الله أكبر" كَمْ بِالْأَمْسِ قَدْ عَصَفَتْ	بِكُلِّ عَادٍ عَلَى الْإِسْلَامِ أَوْ جَانِ
إِنْ نَمُضِ تَحْتَ جَمَى التَّوْحِيدِ فِي ثِقَةٍ	نَنْلُ كُلَّ تَكْرِيمٍ وَشُكْرَانِ
لَا تَحْسَبُوا أَمَّا فِي الشَّرْقِ تَنْصُرْكُمْ	أَوْ فِي دُنَى الْغَرْبِ إِذْ تُرْمَى بَعْدَوَانِ
مَطَارِقُ "الرُّوسِ" مَا زَالَتْ تَطَارِدُنَا	وَلَعْنَةُ الْغَرْبِ مَا تَشْقِينَا بِبُهْتَانِ
تَرَكْتَ فِينَا كِتَابَ اللَّهِ يَرشِدُنَا	وَهَلْ تُرِيدُ دَلِيلًا بَعْدَ قُرْآنِ (١٢٨)

نلاحظ أن الشاعر يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم شاكياً مما يجري في العالم على المسلمين من مظالم وعدوان من قبل الغرب اليهودي والنصراني والشرق الشيوعي، ثم يخصص لبنان وما لحقه من التدمير

في جبالها الخضراء التي تحولت إلى الحمر بدم الأبرياء.

ثم يحكي للنبي صلى الله عليه وسلم مكر اليهود الذي جبلوا عليه الأمر الذي بنيت بالاسقراء  
عندما ينظر إلى تاريخهم.

وفي آخر القصيدة يشكو المسلمون لأن ما هم فيه من واقع سيئٍ مرير هو بسبب تركهم القرآن  
والسنة مع أنه صلى الله عليه وسلم ترك مصدرين عظيمين إن تمسكوا بهما لن يخذلوا أبداً وهما القرآن الكريم  
والسنة الشريفة.

رابعاً: الحكمة

إن الحكمة لا تأتي إلا بممارسة طويلة في الحياة البشرية ومعرفة واسعة بأقوال الناس وتجاربهم.  
وإن الحكمة أحد الأساليب التي يلجأ إليها الشاعر: لأنها طريقة النصح المباشرة المناسبة لواقع الناس الذي  
يقتضي من الشاعر أسلوباً سريعاً في إعطاء الحلول استجابة للمشاكل التي يعاني منها المجتمع البشري.  
وهكذا تفتح الحكمة أمام الشاعر أفقا واسعا يستغله فيها يريد أن يعبر به عن نفسه ومن هنا تتناثر الأبيات  
الحكيمة هنا وهناك في كثير من شعر نجيب الكيلاني، وهي صادرة عن رأيه الثاقب ومعرفته بالمظاهر الخلقية  
والاجتماعية ومعبرة عن تجربته الطويلة في الحياة، وصراعه مع المشاكل التي واجهها في حياته.

ومن الحكمة الجيدة التي احتواها ديوانه مدينة الكباير حيث يقول:

الكلب إذ يأتي وَيَنْبَحُ غَاظِباً	لا بَأْسَ، قُلْ للكلبِ إنك سيِّدِي
سَبِّحْ بحمدِ الظالمين ومجدهم	مُتَرْتِّباً بِفَعَالِهِمْ وَتَهَجِّدِ
مُسِيحَتِ مصابيحِ الفُضيلةِ وأنزوتِ	قيمِ العَدَالَةِ أو طهارة اليد (١٢٩)

وهكذا الشاعر يريد في حكمه إلى الموت وأحسن من الحياة التي فيها الذل والدناءة، حيث يقول:

ما قيمة الدنيا إذا انحسر الهدى	وأقمتَ بَيْنَ مَذَلَّةٍ وَتَوَعُّدٍ؟
الموتُ أسمى مِنْ حياةٍ مُرَّةٍ	تَعْنُو لطاغيةٍ يُسيءُ وَيَعْتَدِي
تلكَ المبادئُ دَمَّرَتْ أَحلامنا	حتى غَدونا مِثْلَ صخرِ الجَلَمِدِ
ماتتْ قلوبُ العاشقين وَصَوَّحَتْ	أفئادها عبرَ الزمانِ الأَنَكِدِ
الحُرُّ أن قاسى المَذَلَّةَ صامِتاً	أمسى كَعَبْدٍ بالهوانِ مقيِّدِ

يا ويح قلبي من جهالة عصرنا ألقى إلى الشرك الخفي بمقود (١٣٠)  
أمنت أن "الذكر" نبراس الوري حقاً وأن الدين دين محمد (١٣١)

وهكذا يقول الكيلاني لا قيمة للعالم التي لا هدى فيها، والحكم والأمر للطاغي الذي جعل نفسه رباً يعبد ويطاع، وقد فقد القيم الأخلاقية والإنسانية، وأن الحل هو الإسلام والتمسك بالقرآن الكريم، فالزمن لا يتحقق فيه العدل ولا مكان فيه للقيم والعبودية فيه للظالم هو زمن الجاهلية.

#### خامساً: الوصف

الوصف من الأغراض القديمة في الشعر العربي، تعرض الشعراء قديماً وحديثاً، فوصفوا كل ما كان حولهم من مظاهر الطبيعة بشقيها الحي والجامد.

نعني بالطبيعة الجامدة الصامتة كل ما عليها ليس فيه روح، كالجبال والأشجار، وما شيده البشر من قصور، وقلاع ومعبد وغيرها.

وأما الطبيعة الحية فعلى عكس ذلك، فهي تشمل كل ما على الأرض، مما فيه روح كالإنسان والحيوان ونحوهما.

والوصف لدى شعر الكيلاني قليل إلى جانب ما نظمته في موضوعي النجاوى والحماسة، من ناحية الوصف المجرد لم أجد قصائد كثيرة إلا قصيدة واحدة هي "الله والكون"، وإنما بثت أبيات الوصف في ثنايا مختلف قصائد ودواوين الشاعر من ذلك.

والقصيدة للشاعر الكيلاني بعنوان "الله والكون" وصف فيها الكون وصفاً دقيقاً. فكل شيء يشهد بأن الخالق خلق هذا الكون الكبير الفسيح الذي أوحى إلى الشعراء خواطر كثيرة فتواردت الأفكار فيما بينهم وتشابهت وإن اختلفت صور التعبير لديهم، من ذلك ما وجدته عند الشاعر الرومي (١٣٢) من وصفه للكون فإن يتوابع مع الوصف الكيلاني حيث يقول:

١٣٠- ما يقاد به الناقة وغيرها، انظر: المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧٦٥.

١٣١- نجيب الكيلاني، مدينة الكبار، ص ٢٥، ٢٦.

١٣٢- هو جلال الدين الرومي، ولد في عام ٦٠٤هـ/١٢٠٧م وتوفي في عام ٦٧٢هـ/١٢٧٦م كان شاعراً وصوفياً فارسياً من الكبار، صاحب الطريقة المولودية، لقب بجلي أفندي، ولد في بلخ، إيران وتعلم على أبيه بهاء الدين، ارتحل إلى بغداد ومكة والشام ثم استقر في قونية وتوفي بها. له المثنوي وهي منظومة صوفية شهيرة. انظر: المنجد في اللغة والأعلام، طبعة جديدة منقحة، دار المشرق، بيروت.

عند لبيب كل ورقة خضراء من أوراق الشجرة صفحة من صحف دفتر معرفة الله سبحانه وتعالى،

يقول الكيلاني في قصيدته:

وَعَنِ الْحُسْنِ وَأَيَاتِ الْجَمَالِ	أَيُّهَا الدَّاهِلُ عَنِ هَذَا الْوَجُودِ
وَأَزْمَقِ السَّحَرَ بِهَاتِيكَ الظَّلَالِ	انظُرِ الرَّوْعَةَ فِي حَوْضِ الْوَرُودِ
ثُمَّ يَبْدُو فِي خُشُوعٍ وَجَلَالِ	يَلْبِسُ الرُّوْحَ أَفَانِينَ الْبُرُودِ
عَزْفُهَا الْمَسْكُوبُ حُبُّ وَابْتِهَالِ	وَعُصُونُ الدَّوْحِ أوتَارٌ وَوَعُودِ
سَاحَةُ الْفَنِّ لِقَلْبِي ... مَعْبُدُ	يَا لَهُ خُلْدٌ.. وَحُبٌّ.. وَفُنُونُ
هَاهُنَا الْعُصْفُورُ أَضْحَى يَنْشُدُ	وَسَدَاهَا حَمْرَةٌ لِلْعَاشِقِينَ
وَهُنَاكَ النَّهْرُ صُبْحاً يَزِيدُ	بِأَغَانِي الطُّهْرِ وَالْوَدِّ الْمَكِينِ
وَتَرَى الرِّيحَ كَجِحْنٍ تَرَعْدُ	وَبِهِ فِي اللَّيْلِ صَمْتُ الْخَاشِعِينَ
يَا لَهُ خُلْدٌ... وَحُبٌّ... وَشَجُونُ	فِي فَجَاجِ الرَّوْعِ أَوْ وَادِ الْحَنِينِ
وَتَعَالَتْ عَنْ سُكُوكِ وَظُنُونِ	قُدْرَةُ الْخَالِقِ فَوْقَ الشُّبُهَاتِ
عَجَباً... كَيْفَ إِذَا تَعَشَى الْعُيُونُ	فَاصَتْ الْأَرْضُ بِشَيْءِ الْمُعْجَزَاتِ
أَنْ أَنْ تَفْتَحَ هَاتِيكَ الْجُنُونُ	أَيُّهَا الْغَارِقُ فِي وَهْمِ الْحَيَاةِ
لَيْسَتْ الْأَلْوَانُ ضَرْباً مِنْ مُجُونِ (١٣٣)	كِي تَرَى "الله" وَفَنَ الْكَائِنَاتِ

يخاطب صاحبنا فيه من لم ينتبه إلى آيات الجمال والحسن في هذا الكون من أشجار وظلالها والعصافير التي تغرد عليها بأغاني الطهر والود المكين، والنهر الذي يزيد صباحاً ويصمت في الليل صمت الخاشعين، وترى الريح ترعد وتصوت وأن الأرض فاضت بمعجزات لا تعد ولا تحصى. وأعجب العجائب لداهل لم يفتح عينه وهو غريق في وهم الحياة. ثم يخاطب الشاعر هذا النائم بأن يستيقظ ويشاهد الله في هذا الكون.

ومن ناحية أخرى لا بد لي أن أتطرق لموضوع يتداخل بقضية الوصف وكأن بابه مختلفاً كالحماسة، مثلاً، وذلك إتمام لفكرة الوصف الخاصة بشعر الكيلاني، فهو يصف جمال جبال لبنان وأرزها وخيراتها عبر وصفه لإجرام العدو الصهيوني وما فعله في هذا البلد الجميل الذي أصبح صنو الفلسطينيين حيث يقول:

جِبَالُهَا الْخَضِرُ قَدْ أَضْحَتْ مُحْضَنَةً وَالْأَرْضُ يَبْكِي بِدَمْعٍ مِنْهُ هَتَّانِ (١٣٤)

نرى الشاعر وصف في شعره بأنه بلد أخضر وجباله خضراء جميلة وأن أعداء هذا البلد جعلوا تلك المخضرة. وللكيلاني قصيدة أخرى بعنوان "البيعة" يصفها بأبيات تالية:

وبايعنا

على القرآن دُسْتُورًا أو منطلقًا

على سيفٍ يُحْضِبُهُ دَمٌ قَانٍ (١٣٥)

ومن وصف الذي هو لغير غرض الوصف هناك ما قاله بيعة المسلمين على التمسك بالقرآن والعزة واصفا السيوف مخضبة بالدماء التي سخا بها الشهداء فصار لوئها قانيًا لكثرتها، فجمع وصفه معان كثيرة توحى بمهارة الشاعر في استخدامه للوصف.

#### سادسًا: الشعر القصصي

استخدم نجيب الكيلاني القصة الشعرية كجنس أدبي مستقل في عدة قصائد، معروف أن نجيب الكيلاني أديب "إسلامي رسالي" يرى أن القصة من أهم الوسائل في نشر الدعوة.

وفي دواوين الكيلاني - باستثناء ديوانه الأول - نلتقي بعدد من القصص الشعرية استطاع فيها الكيلاني - بنجاح كبير - أن يوظف كثيرا من آليات الفن القصصي الحديث مثل: الرمز والقناع والحوار والسر... يقول جابر قميحة، بعد أن يقسم مسيرة شعرية للكيلاني إلى مراحل أربعة: مرحلة البداية والترسم، ومرحلة الترشيد وثبوت الذات، ومرحلة الامتداد النضج، ومرحلة الفتور والذبول (١٣٦). وفي شعر هذه المرحلة (مرحلة الامتداد النضج) غلب التابع القصصي على أغلب القصائد، وتنوعت الأشكال القصصية (١٣٧).

وفي هذا المبحث نقف على نموذجين من نماذج الآليات أو الأشكال الفنية الحديثة، وهما: القصص الرمزي، والقصص القناعي.

١٣٤ - نجيب الكيلاني، مهاجر من قصيدته "دموع في الروضة الشريفة"، ص ٢١.

١٣٥ - نجيب الكيلاني، مدينة الكباثر، ص ٨٢.

١٣٦ - انظر: جابر قميحة، مؤتمر الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة، ج ٢، ص ٤٢٧.

١٣٧ - نجيب الكيلاني، مدينة الكباثر، ص ٨٢، انظر: جابر قميحة، مؤتمر الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة، ج ٢، ص ٤٢٧.

القصص الرمزي من مجتمع القرية إلى دائرة الأمة

الذئب:

لا تخرجوا

فالذئب يسكن المزارع

الرعب هائج وجائع

إن الشياخ تحتفي

والبط والدجاج والأوز

والخوخ والتفاح والأعناب تحتفي (١٣٨)

يبدأ الكيلاني قصته بهذا النهي القاطع "لا تخرجوا..." وهو نهي معلل، مصحوب وبحييته، أو حيثياته كما يقول رجال القانون: نهى عن مبارحة لبيوت من ناحية، والتسليم بواقع المحنة التي يعيشها رجال القرية من ناحية أخرى، لأن المقاومة - إن حدثت - ستكون ربا من المخاطرة أو العيشة والضياع أما ذئب جائع يلتهم كل شيء.

وهو صوت شاء له الشاعر أن يكون مجهول النسب، لأنه يمثل "حالة" وينقل عن واقع لا يحتاج إلى تتبع وتحقيق. ويؤكد هذا التكليف أن الشاعر لم يخلع أسماء على شخصيات قصته: الشيخ الأول - الشيخ الثاني - الخضير - السيد الكبير. ويستلم أهل القرية للخوف، ويضخم الوهم صورة الذئب:

فَالخَوْفُ يَقْتُلُ السَّلَامَ وَيُبدِعُ الأشْبَاحَ والأوهام (١٣٩)

ويظهر على مسرح القصة شيخ المسجد بشخصيته التقليدية السلبية يدعو الجماهير للصفاء والتقوى والصلاح، وكان من المتوقع أن يدعو الناس كذلك لمواجهة الذئب ولكنه للأسف وقف:

يحذر الشباب من مخاطر السلام متعللاً بعبثية المقاومة، فالناس لو تجرأوا في طرد الذئب أو جرحه

أو قتله، فهناك غيره من الذئاب الكثير والكثير:

فالذئب يُنجِبُ الذئاب

قبيلة من الذئاب (١٤٠)

١٣٨ - نجيب الكيلاني، مهاجر، ص ٣٩.

١٣٩ - نفس المرجع، ص ٣٩.

١٤٠ - نفس المرجع، ص ٤٠.

وتتراكم الهموم، ومشاعر الضياع على نفوس أهل القرية، فيهربون إلى اللقاء الحشيش والأفيون،  
ويسلمون عقولهم لغيوبة محدودة.

تَحْلُمُ بِالسَّلَامِ وَالثَّرَاءِ وَالسَّنَابِلِ  
وَمَوْسِمِ الْأَمْطَارِ وَالْبَلَابِلِ (١٤١)

ومع طول المعاناة، واشتداد الكرب بأهل القرية، وشعورهم بفداحة ما خسروا من أموالهم  
وثأرهم ودجاجهم ومواشيهم، وبعد اكتشافهم حقيقة غريبة وهي أن هذا الذئب الذي يلتهم كل  
ما يمتلكون لا يقبر أموال "كبيرة القرية" السيد المطاع ولا يمس حقوله ومواشيه بسوء، أمام كل هذه  
الضغوط النفسية القاصمة عزم الناس على أن يتحولوا من السلبية المعقدة إلى الإيجابية الناهضة الناسطة،  
فتجمعوا، واحتشدوا وزحفوا بالعصى والحناجر والبنادق القديمة، وكان قرارهم العملي:

نَمُوتُ أَوْ نَعِيشُ

ولا خيار غيرها.. (١٤٢)

وانطلقوا في زحفهم الكبير الخطير يبحثون في المزارع والوديان والكهوف عن الذئب، ولم يتركوا  
مكانا إلا بحثوا فيه، ولكنهم لم يجدوا أي أثر.

وفجأة يهتدي إمامهم وقائدهم في الزحف إلى حقيقة عجيبة، وهي أن الذئب لا وجود حقيقيا له  
في القرية، ولكنه من صنع الوهم الخادع، والقلب المرعوب، والسيد الكبير المتسلط الذي:

يَعْرِفُ كَيْفَ يَسْرِقُ الْكُرُومَ

لأنها فاكهة الصَّبَّاحِ

وَحَمْرَةُ السُّمَّارِ فِي الْمَسَاءِ

وَتُسْتَرَى الْحَيْثُ لِلنِّسَاءِ (١٤٣)

والقصيدة نموذج حي للقصص الرمزي مثل هذا اللون - كما يقول هنري بريمون - يكون له  
وجهان أو معنيان: المضي المباشر الذي لا يستعصي فهمه على أحد، والمضي الأهم، وهو الذي يفرض أو

---

١٤١ - نجيب الكيلاني، مهاجر، ص ٤٠.

١٤٢ - نفس المرجع، ص ٤١.

١٤٣ - نفس المرجع، ص ٤٣.

يستقطر من الأبيات ويسميه "المضي السري الذي لا يفهمه إلا شاعر وأشباهه" (١٤٤). فالوعي بالرمز يمر إذا بمرحلتين تكادان تتواكبان زمنياً: مرحلة العطاء المباشر الذي يقدمه الرمز باعتبار أن عناصره مستمدة في الأصل من جزئيات الواقع، وأن ألفاظه وعلاقاته اللغوية ألفاظ وعلاقات ذات دلالة سابقة، وهذا ما أسماه بالمعنى المباشر، أو الجزء الكدر من القصيدة. ومرحلة تلقي الإيحاء الرمزي والاستسلام له، باعتبار أن الرمز ليس محاكاة للواقع الجامد، بل هو استكناه له، وتحطيم لعلاقات طبيعية، ومن هنا كانت حركية الرمز وحيويته وإجاءه (١٤٥). وقد يكون "الرمز" في مثل هذه الحال الخيار الوحيد أمام الأديب، وذلك لأسباب متعددة منها "الخوف من التصريح الذي يعني مواجهة السلطة مما يعرضه للاضطهاد والضرر والأذى" (١٤٦).

والقصيدة - في محتواها الفكري - تحمل كثيرا من الإسقاطات السياسية التي تتلافى وتنصر وتتوارى خلف الرمز، لتقدم لنا صورة للحكم الاستبدادي المطلق، يمكن إدراكها بتجديد "الأدوار" في صورتها المباشرة، مقابل صورتها الرمزية المقصودة أصلا بالسياق، وذلك على النحو التالي:

- ١- السيد المطاع الأمن الذي لا يمسه الذئب حوضه وماله وأملاكه. والسلطة المستبدة المنهومة التي تضحى بمصالح الشعب في سبيل منفعتها الخاصة.
- ٢- أهل القرية الشعب في مجموعة.
- ٣- الشيخ الأول: الذي يجذر الشباب من المخاطر حمل للقضاء على الذئب الدعي الذي يتوارى خلف داعيا إلى الاستسلام حرصا على منفعة السلطان.
- ٤- الخفر أو الخفراء القوة الحامية للسلطان، لارتباط حياتها ومصالحها ببقائه وسلامته.
- ٥- الذئب حالة الرعب التي يحرص الطاغية على أن يعيشها المحكومون، حتى يكونوا مشغولين بأنفسهم دائما، فلا يتطلعون إلى البحث عن حقوقهم، وإدانة استبداد السلطان الطاغية.

---

١٤٤ - محمد فتوح أحمد، الرمز والرموزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٨م، ص ٤١.

١٤٥ - نفس المرجع، ص ٤٢.

١٤٦ - انظر: درويش الجندي، الرمزية في الأدب العربي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٤٥٨-٤٦١. وقد اعترف نجيب صراحة بأنه في أعماله الشعرية والرواية كان يتقنع بقناع الرمزية، ويقوم بعمليات إسقاطات سياسية واجتماعية فيها يكتب، لأن التعبير الأدبي الصريح في فترة المحنة التي عاشها منتقلا بين السجون السبعة كان - على حد قوله - باهظ التكاليف قليل الجدوى، انظر: لمحات من حياتي، ج ٣، ص ٢٨.

٦- الشيخ الثاني: عالم الدين المستنير، وهو قائد الزحف الذي اكتشف وكشف للناس:

الذئب لا يعيش في المزارع

الذئب في عقولنا

الذئب في بيوتنا

الذئب في قلوبنا (١٤٧)

إنه رمز للإمامة الهادية، والقيادة الراشدة، التي تعتمد في مسيرتها وزحفها على ركيزتين:

الأولى: هي الإيمان الصادق والعزيمة القوية.

والثانية: القوة المادية المناسبة للموقف والحال.

وتأسيسها على هاتين الركيزتين توجيه للجماهير:

البحر من ورائنا

والذئب من أمامنا

فلنمض عنوة إلى الأمام

أسنة الرماح تحمل المصاحف (١٤٨)

أما المغزى الذي رمى الشاعر إلى إبرازه وتحقيقه فمؤداه: أن مسؤولية الظلم الواقع على الأمة

لا ينفرد بها الطاغية المستبد بل يقع شطر منها على الأمة إذا لاذت بالصمت والإذعان:

وقد بين القرآن مسؤولية الأمة عن سكوتها على الظلم، إذ سَوَّى اللهُ تَعَالَى فِي الْعِقَابِ بَيْنَ الظَّالِمِ

المستبد والرعية إذا قبلت وأذعنت لهذا الظلم يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الظَّالِمِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ

قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١٤٩).

ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الظَّالِمِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءِ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَأَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (١٥٠).

١٤٧- نجيب الكيلاني، مهاجر، ص ٤٢.

١٤٨- نفس المرجع، ص ٤٢.

١٤٩- سورة النساء، الآية: ٩٧.

١٥٠- سورة النحل، الآيتان: ٢٨، ٢٩.

وحتى يؤدي الرمز رسالته، ويخلص بالقارئ إلى الدلالات المشودة كان على القاص أن يحتفظ للقصيدة برمزياتها من البداية إلى النهاية، دون الكشف الجزئي عن بعض معطيات الرمز في أية شريحة من شرائح القصيدة. ولكن الكيلاني - في جزء من الحوار - ينزلق إلى شيء من التصريح الدال على بعد من أبعاد الرموز إليه، وهو قول أحد خفراء (الرجل الكبير) في القرية حينما رأى حشود الناس الزاحفة للبحث عن الذئب:

هذا تَجْمَهْر خَطِير  
يُهَدِّدُ السَّلَامَ وَالنَّظَامَ فِي الْبَلَدِ  
تُعَكِّرُونَ صَفْوَةَ عَيْشِنَا (١٥١)

فتحريم التجمهر بدعوى أنه يهدد النظام والسلام الاجتماعي مقولة لا يتسع لها منطق الخفير القروي الأمي، ومن العصب إن لم يكن من المستحيل أن تستوعبها وتقبلها عقليات القرويين، لأن حياتهم قائمة على "التجمعات" وهي تستغرق وقتهم في الحقول والمقاهي والمسجد وإنما هو منطق الطاغية، حينما يلجأ إلى تحريم في صياغة قانونية حرصاً على نفسه، وحماية لمنافعه واستقراره.

ويؤخذ على الشاعر كذلك إقحامه "صوته الخاص" بعد ختام القصيدة "بيان" الشيخ الذي وجهه إلى الجماهير وذكر فيه أن جوهر النكبة يكمن في جبن الناس، وانخلاع قلوبهم من الخوف الذي حرص "السيد الكبير" على تضيخه، لقد فرض الكيلاني - بعد انتهاء القصة بلحظة التنوير - الحكم التقريري التالي:

وَتِلْكَ قِصَّةٌ قَدِيمَةٌ  
مِثْرَةٌ أَلِيمَةٌ  
تَعِيشُ كُلَّ جِيلٍ  
وَلَمْ تَعُدْ بِحَاجَةٍ إِلَى دَلِيلٍ  
لَا تَظْلِمُوا الذُّنَابَ  
لَا تَنَا الذُّنَابَ (١٥٢)

إن تدخل الشاعر بهذا الصوت الصارخ العالي جاء حجراً على حق القارئ في الوصول إلى هذا الحكم بنفسه من السياق القصصي المتكامل الناجح، فعمليات الصراع بين الحق، بين القيم العليا وقيم الشر الفساد، عمليات متجددة على مداد التاريخ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

١٥١ - نجيب الكيلاني، مهاجر، ص ٤٢.

١٥٢ - نفس المرجع، ص ٤٣.

بل إن لغة الحوار - في القصة الثرية - زيادة على إبرازها المحتوى الفكري المشترك تكاد تقترب في الصياغة من القصة كما نرى الحوار التالي بين الشيخ والجماهير:

لكنني أؤكد لكم أن سعدًا سيلقى مصرعه.

متى؟

عندما تصرعون الخوف الذي يملأ قلوبكم (١٥٣)

وبعد أن صرخت "إنصاف" الرجل وجه إليهم حديثه قائلاً:

مات سعد عندما استطاعت امرأة أن تصارع الخوف في قلبها (١٥٤)

ولا يتوقف المنبع الرمزي عند الكيلاني عند القرية وما يقع فيها من أحداث ذات طابع لا تخفى على أحد، بل يسترقد الشاعر "التاريخ الوجداني العربي" بصورة رمزية لتشخيص آلام الأمة العربية الإسلامية، وذلك في قصيدته القصصية: ليل المريضة (١٥٥).

وقد قدم الشاعر هذه الشخصية التاريخية أو "التاريخية" (١٥٦)، قريبة في أبعادها من محتواها التاريخي أو الروائي، رمز للشرف والتعفف والنبالة والسمو.

وأسقط عليها الشاعر بعداً جديداً يشدنا إلى واقعنا السياسي وهو المرض: في قصيدته القصصية "ليل المريضة" ولم يجعل الشاعر موطنها مضارب "بني عامر" كما تنقل الأخبار التاريخية ولم يقصره على العراق كما فعل زكي مبارك (١٥٧)، بل لا بد لشاعر حتى يكون فنانا أن يضعنا وجهها لوجه أمام عالم آخر فريد في نوعه ألا وهو العالم الفني (١٥٨).

١٥٣ - جاءت في القصة، "عند الرحيل"، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م، ص ٤٢.

١٥٤ - نفس المرجع، ص ٥٠.

١٥٥ - نجيب الكيلاني، عصر الشهداء، ص ٦٦.

١٥٦ - نقصد بالشخصية التاريخية، الشخصية التي لها وجود تاريخي حقيقي، ولكن نسيج حولها من الخوارق والأساطير الكثيرة، كما فعل صاحب الأغاني بشخصية قيس، والخوارق التي نسبت إلى عنترة، انظر في هذا الموضوع كتاب: أحمد زكي، الأساطير: دراسة حضارية مقارنة، مؤسسة كليوبتر، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٦م، ص ٥١ وما بعدها.

١٥٧ - الكاتب المصري د. زكي مبارك (١٨٩٥م-١٩٥٢م) سلسلة من المقالات بعنوان "ليل المريضة في العراق" نشرها في الأربعينيات أيام أن كان يعمل أستاذاً في دار المعلمين العالية ببغداد. الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان للطبع، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج ٢، ص ٩٢٥.

١٥٨ - زكريا إبراهيم، مشكلة الفن، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٣٤٢.

ومن ثم جعل الكيلاني من "ليلي" ليليات متعددة، لأن ليلي هنا تمثل حالة مسرحها يتعدد في صور متشابهة، بل متماثلة، ويكشف السياق أن مرضها ليس مرضاً جسدياً ولا حتى نفسياً ولكنه "مرض سياسي" إن صح التوصيف:

فهي في بغداد تَشْكُوا مِنْ عَسْفِ الْأَنَامِ وَعَدْرِهِمْ.  
وهي في القُدْسِ أَسِيرَةٌ مُعَدَّبَةٌ

بل إن الشاعر يقدم الصورة المأساوية لليلي في كل الأوطان، ثم يقدمها في صورة مكثفة مركزة في البيت الآتي:

ليلايَ في طُولِ البِلادِ وَعَرَضِها      مَسْحٌ مِنَ الْأَلَامِ وَالْأَحْزَانِ (١٥٩)

ثم يتساءل الشاعر:

هَلْ مِنْ نَطَاسِيٍّ لِيُبْرِئَ سُقْمَها      وَيَمِيطُ لَوَعَةَ قَلْبِها الْوَهْانِ (١٦٠)

ويكون هذا البيت هو الداعية الفنية التي تستحضر الشخصية التاريخية الثانية:

شخصية الحب المنقذ المعروف تاريخياً باسم قيس. ولكن الشاعر عن عمد يغفل الاسم لأن القضية أكثر من كونها "عاطفية" حيث لا يهتم فنياً بأبعاد شخصية هذا "المنقذ" ويتحول الشاعر نفسه بوصفه مسلماً استكمل عدة النصر من إقدام وحب وإصرار وإيمان لينقذ "ليلي المريضة" من مأساتها، فيهتف:

أنا قَادِمٌ عَبْرَ الدِّيَاجِي وَاللَّظَى      أَطَأُ النُّجُومَ بِهَيْمَةِ الْفُرْسَانِ  
أنا قَادِمٌ أَحْيِي الْمَوَاتَ مَسْلِحاً      بِالْحُبِّ وَالْإِصْرَارِ وَالْإِيْمَانِ  
أنا قَادِمٌ أَتْلُو تَرَائِمَ الْهُدَى      مُسْتَعَصِماً بِالسَّيْفِ وَالْقُرْآنِ (١٦١)

إن ليلي رمز للأمة العربية وقيمها الإسلامية، وأمجادها العريقة المتهككة المستضعفة في وقتنا الحاضر، وواضح أن الشاعر يؤمن أن الحل الأمثل للإنقاذ هو "الحل الإسلامي" المتمثل في الإيمان والعزيمة والجهاد (١٦٢).

١٥٩ - نجيب الكيلاني، عصر الشهداء، ص ٦٨.

١٦٠ - نفس المرجع، ص ٦٩.

١٦١ - نفس المرجع، ص ٦٩.

١٦٢ - انظر: قصيدة "التي لم تظهر بعد" بديوان مهاجر، ص ١٤-١٧، فهي تدور في الفلك ذاته: إذ تعتمد أيضاً على التنقل النفسي والذهني بحثاً عن الحبيبة "ليلي" في شتى أوطان العرب، فإذا بها في كل وطن محزونة منكوبة تطلب المنفذ والمعين.

## ٢- القناع في حوار قصصي بين عنتر وعبلة

"بين عنتر وعبلة" (١٦٣)، حوارية قصصية، ولكن الحوار فيها لم يأت في شكل خطاب مباشر بين الشخصيتين، ولكن جاء في شكل الرسالة من عبلة إلى عنتر، يعقبها رسالة منها إليها وهي تمثل الرد أو الجواب، وهذه الطريقة في السرد تسمى طريقة الوثائق، وهي الطريقة التي يتحقق القصص فيها عن طريق الخطابات أو اليوميات أو الوثائق المختلفة (١٦٤).

ومن ناحية أخرى يرى الشاعر يوظف حيلة فنية مستحدثة للتعبير عن جوانبه الفكرية والعقدية هي القناع.

وأسلوب القناع يمثل مرحلة متطورة من أساليب التعامل مع التراث، من خلال الاستعانة الفنية بالشخصية التراثية، لبناء قصيدة ذات منحى درامي يتصاعد مع السمات التاريخية، التي تحملها هذه الشخصية، وانعكاس ذات الشاعر المتزجة معها، لتقديم المثل الإنساني في صورته الفاعلة، وهذا الأسلوب الشعري يمثل الجهد الكبير الذي يبذله الشاعر المحدث لإرساء دعائم متينة مع التراث في الوقت ذاته الذي يحرص فيه على تطوير أدواته الفنية وقدرته الإبداعية (١٦٥).

والشخصية القناع غير مستقلة عن الشاعر المبدع، لأنها تعني اتحاد الشاعر برمزه اتحادا تاما، لذا يجب أن يتوافر في القناع تلك المواقف والخصائص التي تشبه - إلى حد بعيد - موقف مبدعها وأفكاره (١٦٦). ونحن هنا أمام قصيدة قصصية ذات قناعين لا قناع واحد: القناع الأول يتمثل في شخصية تاريخية هي عبلة، والقناع الثاني يتمثل في شخصية تاريخية أخرى هي عنتر. والقناع الأول يتحد مع شخصية معاصرة تنطق بصوتها وهي "زوجة الشاعر" أما القناع الثاني فيتحد مع شخصية الكيلاني وينطق عنه (١٦٧).

١٦٣- المرجع السابق، ص ٥٥-٦٦.

١٦٤- عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دار النشر المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥٥م، ص ١٦١.

١٦٥- علي حداد، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، دار الحرية، بغداد، ط١، ١٩٨٦م، ص ١٦٨.

١٦٦- انظر: محسن وطميش، دير الملاك، بغداد، ١٩٨٢م، ص ١٠٣-١٠٥.

١٦٧- في قصيدة "القناع" يذوب صوت الشاعر في صوت الشخصية البطل، كما يتحول صوت القناع هو الآخر إلى صوت الشاعر المعاصر، فهما يتحدان في الموقف، كما يتحدان في اللغة. ولكننا نرى أن الطبيعة القناع لا تنانق أن تكون الشخصية القناعية التاريخية متحدة مع شخصية المعاصرة، تنطق بصوتها حتى لو لم يكن صوت الشاعر، وهناك نماذج متعددة في الشعر الحديث من هذا اللون مثل قصيدة "توبة يهوذا" لبلند الحيدري، فغطاؤها الرمزي يقودنا إلى شخصية الدكتاتور المعاصر بكل أبعادها، حينما يتمرد عليه شعبه ويسقطه، انظر: ديوان بلند حيدري، الأعمال الكاملة، =

ويتوذع القناعات بين الشاعر وزوجته، وتبرز في الرسالتين المعالجة والمضامين العصرية، من إسقاطات سياسية واجتماعية وفكرية: ففي رسالة عبلة إدانة صارخة للحضارة الزائفة، والعصر المخدوع ببرهجها وزينتها، وأمراض النفاق والحقْد.  
تقول عبلة:

أَلْفُ سَلَامٍ  
لِلْأَحْلَامِ  
لِلْحَنِ الصَّارِبِ فِي عُمُقِ الصَّحْرَاءِ  
يَتَحَدَّى عَبَثَ الرَّقْعَاءِ  
بِمَحَقِّ أَكْذُوبَةِ عَصْرِ أَيْلِهِ  
خَدَعَتْهُ خُرَافَاتُ الْأَلْوَانِ  
اللونُ متَاهُهُ كُلِّ جَبَانٍ..  
كُلِّ حَقُودٍ وَأَخْرَقَ (١٦٨)

والحب الصادق، والإرادة القوية، والعزيمة المتوهجة، كلها قيم لا يصمد أمامها حقد الجهال، وأكاذيب الأدعياء الذين يأكلون بدينهم، وطيش الظالمين المستبدين، فالظلم مهما كانت قدرته وإمكاناته لا يستطيع:

إِنْ يَطْفَى بَسْمَةَ نَجْمٍ  
أَوْ يَطْمَسُ بِهَجَّةِ فَجْرٍ  
أَوْ يَكْبِجُ عَاصِفَةً تَزَارُ

---

= دار العودة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٣٦٣. انظر: جابر قميحة، التراث الإنساني في شعر أمل دنقل، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، ص ٢٨، ٣٠، ٤٠، ٤١. فالقناع إذن حيلة من الحيل الفنية الحديثة، وهو - في الغالب - يمثل شخصية تاريخية، يختبئ الشاعر وراءها ليعبر عن موقف يريده، أو ليحاكم نقائص العصر الحديث من خلالها، وليس القناع وقفا على الأشخاص فحسب، بل إنه يتسع عند بعض الشعراء ليشمل المدن مثل بابل ودمشق ونيسابور ومدريد وغرناطة وغير، انظر: إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، الكويت، ١٩٧٨م، ص ١٤٩-١٥٣، وارجع إلى دراسة بعنوان: ثلاث من أسبانية: لكاتب الأسباني بدور مارتين مونتبي. ترجمها وقدم لها محمد عبد الله الجعيد، من مجلة عالم الفكر، العدد ٢، ١٥م، يوليو ١٩٨٤م، ص ٤٥٩-٤٨٦.

أَوْ يَشْكُم سَيْلًا يَزْخَرُ (١٦٩)

ولأن الظلم سيبقى "يحرق أشواق الإنسان" ويلغي ذاته، وتصبح خفقات القلب جريمة، ولأن:

الطاغية الأكبر

يُنَجِبُ طاغيةً أكبر

يَمَلَأُ دَرْبَ الواحةٍ بالأشواق

يُغْرِقُ آمَالَ الغُزْلَانِ

فِي بَحْرِ هَوَانِ

تَزْجُمُهُ الأَشْبَاحُ (١٧٠)

لكل أولئك ترى عبلة (الشخصية القناع) أن الحل الأمثل يكمن في الهجرة... في الهرب من ذلك

الجو الخالق القتال:

فَلَنَهْرُبُ مِنْ عَالِمِنَا الظَّالِمِ

وَلَنَضْرِبُ فِي عَرْضِ فَلَاهِ

نَتْرَعُ مِنْ كَأْسِ الحُبِّ الأَعْظَمِ

نَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ العَوْسَجِ

وَنُعْنِي حَنَ الحُرِّيَّةِ (١٧١)

وهذا الحل "المثالي" الذي عرضته في رسالتها لعنترة، يتفق مع طبيعة الأنتى التي تبغي السلامة،

وترى في زوجها عالمها الأثير، ولكن رد عنتر يأتي قويا وصاخا، رافضا هذا الحل السلبي، وقدماء في قوة

ووضوح حيثيات هذا الرفض:

يَا عَبْلَةَ..

الفَارِسُ لَا يَنْكُثُ أَوْ يَهْرُبُ

بَلْ يَصْنَعُ لِلْحَقِّ مَنَارَةَ

أَوْ يَلْبَسُ لِلْحَرْبِ إِزَارَةَ

١٦٩- نفس المرجع، ص ٥٧.

١٧٠- نجيب الكيلاني، عصر الشهداء، ص ٥٩.

١٧١- نفس المرجع، ص ٥٩.

فإرادتُننا قُوَّة  
تَحْرِقُ كَلَّ رِيَاءٍ  
وإرادتُننا فَوْقَ الأَهْوَاءِ  
الحقُّ هو القُوَّة  
والحقُّ شُجَاعٌ  
يَتَصَدَّى لِلزَيْفِ العَرِيْبِ (١٧٢)

إنها أخلاق الفروسية في أبهى صورها وأقواها، يطلقها عنتره في أبعادها المطلقة، ثم يقدم نفسه كنموذج عملي لهذه الأخلاقيات:

وَفَتَّاكَ لَا يَعْرِفُ غَيْرَ الإِقْدَامِ طَرِيقًا  
لَا عَوْدَةَ يَوْمًا لورَاءِ  
لَا يَهْرَبُ عَنترَ مِنْ قَدْرِهِ (١٧٣)

وبين الرسالة وردها نلمس صراعا بدافع الحب بين عبلة التي تحكمها "إرادة الحياة" وعنتره الذي لا يعرف إلا "إرادة الخلوّة" والحياة تطلب ظلا ظليلاً وعشياً مستقرّاً هنيئاً.

أما الخلود فقد يكون ثمة فادحاً: جهداً وعرقاً ودمًا وربما تضحية بالنفس، وتنتصر الإرادة العنترية "إرادة الخلود" لأنها الجديرة بالحياة، ولكن في ثوبها الطاهر الناصح الشريف.

سابعاً: الشعر الوجداني الإلهي  
المناجاة:

ومن الأغراض الجديدة التي تعرض إليها الشاعر هي المناجاة التي فيها الدعاء، وطلب العفو والمغفرة من الله تعالى التي تنطلق باللجوء إلى رحمته سبحانه، وفي شعر المناجاة يحس القارئ صدق الإحساس والندم والإقرار بالذنب، ويدل على ذلك تكرار لكلمة "إلهي" ليؤكد بها إلحاحه في طلب العفو والرحمة من الله تعالى.

وقد كتب الشاعر قصيدة في الموضوع التي سماها "كيف ألقاك" ولأهمية المناجاة عند الكاتب ومكانتها سمي ديوانه الذي فيه هذه القصيدة باسمها كيف ألقاك فيقول الشاعر:

١٧٢- نفس المرجع، ص ٦٠-٦١.

١٧٣- نفس المرجع، ص ٦١-٦٢.

كَيْفَ أَلْقَاكَ يَا إِلَهِي وَقَلْبِي فِيهِ مَا فِيهِ مِنْ نَزَوَاتٍ  
 قَدَسَتْ بَيْنَنَا صَنُوفَ الْخَطَايَا وَرَكَعْنَا لِكُلِّ طَاغٍ وَعَاتٍ  
 أَصْبَحَ الْخَوْفُ عَصْمَةً وَدِهَاءً وَالْبَطُولَاتُ عَثْرَةً الْعَثْرَاتِ  
 وَالدَّعَاةُ الْهَدَاةُ ضَاعَ نَدَاهُمْ كَضَلِيلٍ مِنْ مَهْمَةٍ أَوْ فَلَاةٍ  
 كَيْفَ أَلْقَاكَ يَا إِلَهِي وَحُبِّي صَارَ كَالرَّقِ يُشْتَرَى وَيُبَاعُ (١٧٤)

إن الشاعر يخاطب الله مقراً بالزلات التي يقع فيها الشاعر كغيره من البشر مستجدياً الرحمة

والغفران وشاكياً نفسه وغيره من المسلمين الذين انتشرت فيهم المعاصي والذنوب، يقول الشاعر:

سَادَ رَكِبَ الْحَيَاةِ هُمُ وَيَأْسُ وَتَوَلَّاهُ جِيرَةٌ وَضِياعُ  
 كَيْفَ أَلْقَاكَ وَالزَّمَانُ زَمَانٌ فَاصٌّ بِالظُّلْمِ وَالْجَوَى وَالْمُرُوقِ  
 إِنْ تَسَلَّ رَاعِيًا عَنِ الْحَقِّ يَوْمًا تَجِدُ الْحَقَّ مَائِلًا فِي الْفُسُوقِ  
 طَالَ بِي الْبَيْلُ لَاهِتًا فِي الْفِيَاثِ لَمْ أَحْدُ بَعْدُ يَا إِلَهِي طَرِيقِي  
 كَيْفَ آتَيْكَ مَثَقَلًا بِالْخَطَايَا وَسَجَّلُ الْحَيَاةِ فَيُضُّ عُقُوقِ  
 كَيْفَ أَلْقَاكَ وَاللِّسَانَ عَيْيَ قَدْ هَجَرْنَا الصُّدُقَ الْعَظَمَ وَشَرَعًا  
 أُمَّةَ الشَّرْقِ أَنْ يَسْمِيَ دِهَاءً قَدْ تَعَوَّدْتَ أَنْ أَكُونَ صَمُوتًا  
 وَأَبَاءً لَكِي نَنَالَ الْقُوتَا ذَلِكَ الْخَوْفُ وَالسُّكُوتُ الْمَمِيَّتَا (١٧٥)

نجد الشاعر يخاطب الله شاكياً الزمان الذي يعيش فيه والذي فاض بالفسوق والمنكرات، وأنه

سهر الليالي مناجياً من يرشده إلى المقصود ولكنه رجع دون أن يحصل عليه.

ثم يخاطبه بأنه كيف يأتي إليه ويلقاه وهو قد غرق في بحر الذنوب والخطايا، وهو لا يستحق

لقاء الله حيث يقول:

قَدْ خَضَعْنَا لِكُلِّ حُكْمٍ جَبَانَ وَرَفَعْنَا إِلَى الطُّغَاةِ الْقُنُونَا  
 كَيْفَ أَلْقَاكَ وَالصَّحَائِفُ سُودٌ وَالْفُؤَادُ الْمَغْرُورُ مِنْكَ خَلِيٌّ؟  
 هَلْ أَصْخَنَّا لِدَعْوَةٍ مِنْ أَمِينٍ هَلْ وَعَيْنًا مَآذَا يَقُولُ النَّبِيُّ؟

١٧٤- نجيب الكيلاني، كيف ألقاك، ص ٥٥.

١٧٥- نفس المرجع، ص ٥٥.

كَيْفَ أَلْقَاكَ وَالطَّرِيقُ طَوِيلٌ  
 قَدْ تَلَاشَتْ رُوحَ الْإِبَاءِ وَبَادَتْ  
 لَيْسَ يُجِيبِي الْمَوْتَ غَيْرُ جِهَادٍ  
 كَيْفَ أَلْقَاكَ لَيْسَ عِنْدِي بُرَاقٌ  
 إِلَيْهِ يَا نَفْسُ أَنْتِ رَمَزُ شَقَائِي  
 كَيْفَ أَلْقَاكَ إِلَهِي وَقَلْبِي  
 وَنَسُورُ الْفَنَاءِ فِي الْأَفْقِ تَسْرِي  
 كَيْفَ أَلْقَاكَ يَا عَظِيمَ الْعَطَايَا  
 الشَّيَاطِينُ دَأْبُهَا لَا تُرَاعِي  
 كُلَّمَا صَحَّتْ فِي الْجُمُوعِ نَذِيرًا  
 وَخُطِي عَبْدَكَ الدَّلِيلَ كَسَحَهُ  
 قِيمَ الْحَقِّ فِي الرُّبُوعِ الْفَسِيحِهِ  
 إِنَّ سُوْقَ الْجِهَادِ سُوْقُ رَيْبِحَةٍ  
 أَمْتِطِيهِ إِلَى سَمَاءِ الْعَالِي  
 وَإِسَارِي فِي فِكْرِكَ الْمَسْجُونِ  
 لَمْ تَضْخَمِهِ نَفْحَةً مِنْ صَفَاءِ  
 تَسْتَحِقُّ الرُّوحَ قَبْلَ سَحْقِ الْبِنَاءِ  
 وَأَنَا الْقَابِعُ الشَّحِيحُ عَطَائِي  
 حُرْمَةَ الْحُبِّ أَوْ نِدَاءِ السَّمَاءِ  
 ضَاعَ فِي مُهِمَّةِ الشَّقَاءِ نِدَائِي؟ (١٧٦)

وهكذا يستمر الشاعر بالمناجاة إلى آخر القصيدة يسأل الله تعالى العون والسداد، ويستمطر الرحمة والمغفرة ويرجو منه التوفيق والقبول والهداية، معترفا بذنوبه وتقصيره، مؤمنا بأن الرجاء مفتوح وفضله واسع، وهو يعود ويحاسب نفسه وأن ما ارتكب من المعاصي يخيب أمله ويخشى أن لا يقبل رجاؤه بسببها. هذا وهو في أدعيته ومناجاته مؤمن بالله، سليم النية، طيب القلب، يخاف الله ويرجو ثوابه ويخشى عقابه، فنراه يدعو بحرارة مناجيا ربه بخشوع.

## ب- الشعائر الإسلامية الكعبة

حب الشعائر الإسلامية وتعظيمها من صميم الإيمان، بل لا يكمل إلا بها ففيها القرب من الله ونيل حبه ورضاه، ومنها الكعبة التي في مكة، وفيها حجر الأسود وماء زمزم والصفاء والمروة، نرى الشاعر عنون أبياته ب "في مكة" ثم تحدث عن الكعبة وما فيها حيث يقول:

قَدْ طُفْتُ حَوْلَهَا سَبْعًا وَلَمْ أَفِقْ  
 نَشْوَانَ فِي رَحْبِهَا مِنْ مَسْكِيهَا الْعَبِيقِ  
 يَا أَيُّهَا الْحَرَمُ الْمَحْوِيُّ جَانِبَهُ  
 أَرْحَمَ صَرَاعَةَ عَيْدِ صَبَّيِّ الْحَدِيقِ (١٧٧)

١٧٦- نفس المرجع، ص ٥٦-٥٧.

١٧٧- نجيب الكيلاني، عصر الشهداء، ص ٨٦.

طاف الشاعر حول الكعبة سبعة مرات، ولم يتعب بل يريد المزيد، ثم يطلب الحرم المكي بأن يرحم  
ضراعة هذا العبد الذي طال دعاؤه خشوعاً لله تعالى.

### الحجر الأسود

هناك دروس عظيمة وعبر قيمة في قصة الحجر الأسود، لقد قبله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم  
فصار سنة لأمته إلى يوم الدين.

يخاطب الشاعر الحجر الأسود بأنه يذكره بالأيام الخالية، وأنه يحس بروعة الألم حارس القبلة  
ويعرض عليه معاذيره. فصاحبها غريق في الذنوب والمعاصي وهو بحاجة ما سة إليه ليغفر له، حيث يقول:

لثمتُ وجهكَ والذِّكرى تُورِقُنِي      وروعةُ الألمِ القُدِّيِّ تحرقُنِي  
يا حارسَ القبلةِ العصاءَ معذرةً      من مُدِنِ غارقٍ في الإثمِ والإحْنِ (١٧٨)

### السعي بين الصفا والمروة

يقول الشاعر في هذين المشعرين التاريخيين العظيمين:

أسعى وأهتُ والذِّكرى تُطارِدُنِي      وَمَسْحَةُ الشَّجَنِ البَاكِي تُوَاكِبُنِي  
كَمْ بَتُّ أبكي خَطَايَا الأَمْسِ وَأَسْفَا      على زَمَانٍ كَثِيرِ الزَّيْفِ والشَّجَنِ (١٧٩)

بينما كان الشاعر يسعى بين الصفا والمروة وهو يلهث وتطارد الذكرى، أجهش بالبكاء مما قدم  
المعاصي والخطايا وهو نادم على ذلك مستغفر ربه.

### ماء زمزم

يصف الشاعر الإنسان حالة صدوده عن الإيمان وانصراف روحه عن عبادة ربه كيف يعاني من  
السقم والندم، ثم يدعو من جفاء قلبه الذي أصبح جديبا خاليا من القيم يدعو ليرتوي من ماء زمزم ليحيى  
من جديد حيث يقول:

صاد رمَاه النَّوى بالجدبِ والسَّقَمِ      أمسى يقاسي من الهُجرانِ والندَمِ  
هلا رويتَ جَدِيبَ القلبِ من قِيمِ      تُحْيِي المواتِ وتُزَكِّي شُعْلَةَ الهِمَمِ؟؟ (١٨٠)

١٧٨- نجيب الكيلاني، عصر الشهداء، ص ٨٦-٨٧.

١٧٩- نفس المرجع، ص ٨٧.

١٨٠- نفس المرجع، ص ٨٧.

## في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

أتى الشاعر إلى المسجد النبوي مخاطبا روح النبي صلى الله عليه وسلم منتظرا إياه بفارغ الصبر في بحر الدموع وهو ليس وحيدا، بل جموع من الزائرين محتشدين على أبواب مسجدك متنافسين، حيث يقول:

ياسيدي وإمامي والهوى قدّر      خَشِعتُ في جَنابِ البيتِ أَنْتَظِرُ  
طالَ انتظاري وبَحْرُ الدُّموعِ مُنَدِّع      وذكرِياتي هي البُرْكانُ يَسْتَعِرُ  
والزائرونَ على أبوابك احتشَدوا      مدُّوا الأكَفَّ إلى مَثوِّكَ وانبَهروا (١٨١)

## في مقام إبراهيم عليه السلام

وصل الشاعر في جولته إلى مقام إبراهيم عليه السلام، فيخاطبه بقلب باك، حيث يقول:

يا أبا الأنبياءِ عزيزَ الجَنابِ      جئتُ أرجو الهدى ونورَ المَنابِ  
سَجَدتَ مُهَجَّتِي وجسمي وروحي      في مَقامِ العَلَى وساحِ الطِّلابِ (١٨٢)

يخاطبه ويناديه بأبي الأنبياء، ويقدم حاجاته إليه فهو جاءه راجيا أن يرشده إلى الصراط المستقيم، وساجدا في مقام إبراهيم متمثلا أمر الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾ (١٨٣).

## ثامناً: الشعر الحماسي

ونرى الشاعر يعيش في زمن اجتمع الكفار قاطبة على الأمة الإسلامية وهي كشاة تحلقت حولها البهائم المفترسة تأكلها حية. فهو لا يسكت على هذه الحالة، لأنه شاعر مسلم صاحب رسالة وجدان حي وضمير مولع بالحرية والإباء، وله حظ ونصيب وافر من الشعر الحماسي الذي كان يشجع فيه أبناء الأمة الإسلامية بأن يثوروا في وجه أعدائها في أي قطر من أقطار الإسلام.

من خلال معاني الأبيات وصورها أستنتج منهج نجيب الكيلاني في حل مشكلة الأمة الإسلامية

وهو كالتالي:

## تحميس

كثيرا ما يشد الشاعر من أزر "الشباب" رجال أمته ويقوي أمته ويقوي عزمهم فليس ظلم الطغاة إلا امتحان وليس تجر فرعون وجلاديه لموسى عليه السلام إلا خيانة وضعفا وزالت بموته وبقي

١٨١ - نفس المرجع، ص ٨٩.

١٨٢ - نفس المرجع، ص ٩٦.

١٨٣ - سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

النصر للمؤمنين، يقول في قصيدته نشيد:

أخي إن قضباننا من هشيّم  
ووجدانا ذو فؤاد سقيم  
وقد خان فرعونُ موسى الكليم  
فصار على الدهر شر الأنام (١٨٤)

### لا مكان للصبر

لا مكان للصبر وقد دنس العدو الغاشم طهر أراضينا المقدسة، كيف يهدأ المسلمون وكيف يركنون  
وآلامهم تحرق أضلعهم وجوانحهم... لا بد أن يدفن الصبر يكتنم وتشتعل نيران الفدا والدفاع عن الحصن  
المقدس، يقول في قصيدته طول الحرب:

دقت طول الحرب والهيجاء  
لنار.. للزحف المقدس... للهدا  
أنا راحل للساحة الحمراء  
كيما اسطر عزتي بدمائي  
بني على الأشلاء قلعة مجدنا  
وأضح في جنباتها بندائي (١٨٥)

### تحدي وصمود

ازداد تحدي الشاعر والثائر لأعدائه فإن كنتموا صوته لأنهم خافوا أصداءه. فهو يبث الوعي بين  
الناس ويحثهم على التمسك بحقهم السليب، فيقول الشاعر في قصيدته طول الحرب:

فليحرموا وطني الكبير سلامة  
وليسفحوا دمي الذكيّ تجبراً  
سأزود عنهم لذة الإغفاء  
ستظل تصرخ في الوجود دمائي (١٨٦)

### أشلاء وأنوار

دوى صوت الضحايا في مسمع الشاعر فهرع كالعاصفة ووجدانه هؤلاء الضحايا بأشلائهم  
الممزقة بعثوا النور في قلوب المجاهدين، يقول الشاعر في قصيدته طول الحرب:

صوت الضحايا الخالدين بمسمعي  
الحاملين النور للأجيال في  
دوى فأيقظ حامد الأحناء  
ليل الطغاة وثائر النكباء  
السائرين على تهاويل الأسي  
النافحين البعث في الأنحاء (١٨٧)

١٨٤ - نجيب الكيلاني، كيف ألقاك، ص ٦٥.

١٨٥ - نفس المرجع، ص ٧٦.

١٨٦ - نفس المرجع، ص ٦٨.

١٨٧ - نجيب الكيلاني، مدينة الكباثر، ص ٦٩.

فرعون... (دكتاتور) الأزمان

يحكي الشاعر قصة الظلم عبر التاريخ تلك الأيام الخالية أو عصرنا الحالي، فرعون هو... هو يتكر كل حين وتنوع صور الظلم والاستبداد... لا يمكن للمقهور أن يشتكي ولا يستطيع الإنسان أن يعبر عن رأيه، فيقول الشاعر في قصيدته الدكتاتور:

لا تشك يا مقهور أو تتمرد  
واخفض جناحك للزعيم الأوحِد  
السيفُ والجِلاَد رَهْن إشارة  
منه، وحكم الموت للمتردد  
شر الخيانة أن تعارض فكره  
وكذا تصنف في الفريق المعتدي (١٨٨)

٦- أفانين النفاق

تبدل الحقائق وتقلب تحت ضربات السياط، ولا يصدر من الناس إلا ما يرضي الحاكم... ولن أراد الجزاء الحسن والخير والأوان والسلامة فعليه أن يخلص للطغاة ليأمن بطشهم وبأسهم الشديد، يقول الشاعر في قصيدته الدكتاتور:

إن تبغ من تلك البشائع مهربا  
فانثر أفانين النفاق، وأيد  
واذرف دموع الشوق عنج لقائه  
كن مخلصا حقا ولا تبليد  
واعكس حقيقه ما يقل تنل به  
خير الجوائز والرضى المتجدد (١٨٩)

٧- مديح وثناء

لا بد أن يمجد الطاغية ويثنى عليه ويسبح بحمده صباح مساء، فهو الصادق، العظيم الفاتح الشجاع الذي يهابه العدو والأمين المهدي... لا بد أن تدوي الخطابات والتهنئات بأوصافه الحميدة، يقول الشاعر في قصيدته الدكتاتور:

الصدق من شيم الزعيم فلا تُصخ  
سمعا لقول الحاقدين الحَسِّد  
إن قيل قد باع الحمى وأوضاعه  
فاكتب قصائدك العظام وانشِد  
حدت عن الأجداد في أيامه  
وعن الرخاء وعن منارات العَد  
سبح بحمد الظالمين ومجدهم  
مترنا بفعالهم وتهجد (١٩٠)

١٨٨ - نفس المرجع، ص ٦٣.

١٨٩ - نفس المرجع، ص ٦٤-٦٥.

١٩٠ - نفس المرجع، ص ٦٤-٦٥.

## ٨- ظلم وعدوان

دنس العدو أرضنا المطهرة وأظلم نهارنا، يذبح ويقتل ويحرق، إنه يدمر كل شيء العشب والبيان والأمن، فيقول في قصيدته الروس قادمون:

لا تسألني عن الإخاء والسلام

وغص زيتون تليل أو حمام

"فالمنجل" المحموّم يُحصّد الرقاب

ويذبح المحبة وينشر الخراب (١٩١)

## ٩- قسوة وحماقة

إن الروس كسيل العرم قادم، يدمر كل شيء لا يرحم صغيراً أو عجوزاً، كما أنه يحول الحضارة إلى الهمجية ولا يصرف الإله حتى يخشى منه، ولا يعرف المبادئ والقيم التي تمنعه عن الفساد، فيقول الشاعر في قصيدته الروس قادمون.

الروس قادمون يا ابنتي

جحافل كليلنا المدّس

عيوئهم خناجر مُصوّبه

سجلهم مظالم مبيّنة (١٩٢)

## ١٠- لا سلم مع العدو

إن العدو لا يعرف لغة الحوار والسلم والمحبة فهو معروف بالغدر والمكر بل تناسبه لغة القوة والبندقية، فيشير الكيلاني إلى هذه أبياته التالية في قصيدة الروس قادمون حيث يقول:

الروس سلّمهم خرافة

هم يقتلون النور في ردهاتهم

ويصّرعون الحبّ في أحنائهم

الروس دينهم سخافة

الغدر شيمة الذئاب والثعالب

١٩١- نجيب الكيلاني، كيف ألقاك، ص ٢٧.

١٩٢- نفس المرجع، ص ٢٧.

عواذها يَمُورُ بالعجائبِ  
يفترشُ العارَ والمصائبِ (١٩٣)

١١ - وصف المجاهدين

إن المجاهدين الأفغان يستقبلون الموت ويعتبرونه شهادة في سبيل الله التي هي من أسمى أمانيتهم، فهم يرضون الهزيمة مصرين على إقامة دولة إسلامية مبنية على وحدانية الله التي خلق لأجلها الإنسان، في قصيدة الروس قادمون حيث يقول:

نهلُّ في مواكب الطُربِ

ونملاً الكؤوس بالمنى

لأنَّ شعبنا الأبيَّ يرفض الهزيمة

وقَهَرَ كُلَّ قِيَمَةٍ (١٩٤)

يصف الشاعر أمة الأفغان في محبتها لأنها أشد قوة وتحملاً للصبر ولا يخاف من الحر والخطر، لأن

شعبها شجاع، فيقول الشاعر في وصفهم في قصيدته رسالة إلى جمال الدين الأفغاني:

أمة الأفغان في محنتها عبء تطفو على كل العبر

تحمل الأكفان لا تخشى الردى تتحدى على كل غر مقتدر (١٩٥)

تاسعاً: الشعر الاجتماعي

شغلت القضايا الاجتماعية الشاعر قديماً وحديثاً سواء أكانت على مستوى بيئته الخاصة أو العامة. وكان الشاعر يدرك هذه المسؤولية وخطورتها، ويعلم بأنه مسؤول، وهو مثل طبيب الذي يفحص عن الداء ويقدم له الدواء ويمدح الجوانب الإيجابية في المجتمع ويقدم الجوانب السلبية.

يقول جابر قميحة متعرضاً رسالة الشاعر المثالي مقتضياتها: "الشاعر المثالي هو ذلك الذي يعتبر نفسه " أميناً على رسالة وأن عليه أن يوظف طاقاته ومواهبه التي منحها الله إياها للاضطلاع بها، وأدائها على وجهها الأكمل - في مصداقية وإخلاص - في توجيه النفس والسمو بها، وإسعاد المجتمع الإنساني، وديوان

١٩٣ - نجيب الكيلاني، كيف الفاك، ص ٢٩.

١٩٤ - نفس المرجع، ص ٣١.

١٩٥ - نفس المرجع، ص ٣٣.

الشعر العربي الحديث عرض صورة هذا "الشاعر الرسالي" بأبعادها المختلفة (١٩٦).

ثم يستشهد بأبيات قصيدة لشاعر علي محمود طه بعنوان "ميلاد الشاعر":

هبط الأرض كالشُعاع السَّني  
لمحةً من أشعةِ الرُّوحِ حَلَّتْ  
أهَمَّتْ أَصْغَرِيه في عَالَمِ الحَاكِمِ  
وحبته البيان ريا من السح  
في تجاليد هيكل بشري  
حمة والنُّور كل معنى سري  
( )

الكيلاي  
( ) .

الكيلاي في قصيدته التي سماها مدينة الكباثر :

هناك في مدينة الكباثر  
ي مارس الرجال والنساء كل شي

والعرض يشتري...

ييدي الكبير

"الكبير" قيصر "

( )

الكيلاي في الأبيات المجتمع المريض الذي يمارس فيه كل الرذائل، لا يوجد من يستمع إلى  
لأن الظالم هو الحاكم وهو القاضي، فيه فوضى لأن المبادئ معطلة والعدالة مهملة لأن الكبير

---

مؤتمر الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة

الكيلاي مدينة الكباثر

يريد الشاعر من المدينة القيم الإنسانية والخلقية، لأنها لم تبين لتلك المناكير، بل بنيت لرسالة ت فيها، ومن هنا يخاطبها قائلاً:

ويرسُ الأباة في الحديد.. في الزرائب ( )  
وأخير  
إن قامت بها فقد أدت المسؤولية التي عهدت  
:  
... .. إن لم يثب من  
يشرع الحدود  
صير هذه القصور ( )

واقترحات التي تحول المدينة إلى مدينة مطلوبة وهي كالتالي:

- مججد يجدد هذا الوضع الس .
  - ثم يضع قوانين حتى يحكم المجرمين والعصاة.
  - 
  - فيحول قصور هؤلاء الطغاة والجبار إلى قبورهم.
- الكيلافي مسلحة واسعة في القضايا الاجتماعية
- رسالي أمين على رسالته، ويعتبر نفسه مسؤولاً .
- أشد العذاب، وخير دليل على ذلك دخوله في السجن مرتين،

:

ذبحوا غنوتي وأشواق روعي

---

.

.

...

يا خليلي... لا أبالي بقيدي  
إن روحي تعب من خير ورد  
د حين تولى

لآه في أباريقَ  
ستظل الآمال أروع لحن ( )

الكيلايني من خلال الأبيات المذكورة صورة جامعة عن المجتمع وما يجري فيه، وموقف الشاعر الرسالي من ذلك وصفات هذا الشاعر الفروسية والعدل والحرية والشجاعة والثقة بالنفس والتدفق بالحب والأمل والإيمان بالله، والاعتزاز بالعشيرة والوطن، وعزة النفس والاستهانة بالموت والأخطار وهو مهها تكالبت عليه المحن، وعضت به الكروب، وأدمته النوازل، فإيانه برسالته يقتضيه أن يمضي رفيع الرأس، شامخ الوجدان، مجلجل الصوت بهتاف الحرية والأحرار، متخذ منطلقا لشحن النفوس بنوازع الثورة ضد الظلم والطغيان، وزرع ا مال المتطلعة لغد رشيد زكي وفي، زيادة على الأصالة الفنية، و الكيلايني رحم الله تعالى في قصيدة :

قلت للدمعة في عين الحزين  
الآفاق شدوا وحذاء  
لا تهب قيذا ولا  
سوط جلاذ يذل الكبر  
قلت للواعظ  
أنت فلا تخشى الردى  
وامح بالصدق خرافات ال  
أيها الجيل الذي ضلت خطاه  
عد إلى التبع الذي أنكرته  
فهو ري خالد طول الحياه ( )

نرى الشاعر كيف يذكر الشاعر مسؤوليته مشجعا إياه أن ينظم من نظمه ما يشاء دون أن يخاف

---

الكيلايني كيف ألقاك

-

من قيد وسجن وسوط جلاد، كما أنه يحث الواعظ والخطيب أن يخطب ويعظ مع الرعب الذي لا بد منه. يوصيه بأن يدعو للحق دون أن يخاف لومة لائم. ثم ينبهه بأنه مسلم ويجب عليه أن يدعو للمعروف وينهى عن المنكر ويزيل المنكرات التي طغت على المجتمع.

أخيرا يخاطب الشاعر الجليل الذي يثس وابتعد عن الجادة وسار على غير الهدى، واستحوذ عليه ما بأن يعود إلى النبع الذي أنكره مشيرا إلى الحديث الذي روي عن النبي صلى الله عليه : "الإسلام بدأ غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء" ( ) وما روي عن الإمام مالك رحمه : "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها" ( )

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمه الصالحات، والصلاة على أشرف المخلوقات محمد صلى الله عليه وسلم : من المعروف أن لكل بداية نهاية، ولكل عمل هدفا وغاية، بناء على ذلك أود أن أقدم أهم النتائج التي

يستنتج من البحث ما يلي:

- الكيلاني في قول الشعر خلافا لمن زعم بأنه توقف عنه بعد العشرين من عمره.
- الكيلاني العربية تسعة دواوين بين مطبوعة و مخطوطة.
- أثرت جامعة الأورمان بمدينة الفاروق الأول في حياة الكيلاني الخاصة لاسيما في حياته السياسية كما أثرت فيه جماعة إخوان المسلمين التي صار عضوا لها. يلاحظ هذا الأثر العميق في تفكيره
- كان شاعرنا ينطق في شعره بالفن الأصيل، ذي الضوابط والغايات عبر اللفظة الموحية، والنغمة
- الكيلاني أن يوظف كثيرا من آليات الفن القصصي في شعره.

- 
- : لإمام أب الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم كتاب الإيمان، دار الحديث
  - :  
بيخ الإسلام ابن تيمية فصل في النوع الثاني من الأمكنة، الدعاء بعد تحية النبي صلى الله عليه وسلم دار عالم ط، /

- الكيلاني على التجربة الشعرية ومراحلها الأربعة : البداية والترسم، والترشد وثبوت الذات، والامتداد الناضج، وأخيرا الفتور والذبول، وتشهد دواوينه على ذلك.
- وقد كان شاعرنا شاعرا مثاليا يعتبر نفسه مسئولاً أمام الله والمجتمع وأميناً على الرسالة التي أوجب على نفسه أن يؤديها على وجهها الأكمل بصدق وإخلاص في توجيه النفس والسمو به .
- الكيلاني
- إن شاعرنا سجن مرتين وقد طاف بين سبعة سجون، ولهذا السجون أثر عميق على نفسيته ويدل على ذلك ديوانه الذي سماه أغاني الغرباء، ويقال له السجنيات الشعرية .
- تظهر فيها بصمات "محمد إقبال" الشاعر والفيلسوف اله الكيلاني وبفلسفته، كما نظم الكيلاني " " جاءت على نظام المقاطع الرباعية.
- الكيلاني تتوقف عند القيم الروحية المثالية بمفاهيمها العامة من الزهد في رائر النفس الأمانة بالسوء، ونشدان المثل الأعلى، والتطلع إلى الكمال النفسي
- غلب على شعره في مرحلة الامتداد الناضج القصص
- أهم العوامل التي أدت إلى فتور شعره في المرحلة الرابعة والأخيرة : استقراره المعيشي ماديا ونفسيا في أرض المهجر، واستهلاك القدر الأكبر من قدراته وطاقته، وتقدم السن والمرض الذي أدى إلى موته.
- نظم الشاعر الشعر في أغراض مختلفة مثل: المدائح النبوية، والثناء، والشكوى، والمديح، والحكمة، والوصف، والشعر القصصي، والوجداني، والحماسي، والاجتماعي.
- الكيلاني من المدائح النبوية في قصائده كعادة الشعراء يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم أو كوا إليه مصائب الأمة الإسلامية وكوارثها وهذه المدائح هي مناجاة روحية يبث فيها الشاعر أشواقه وحنينه إلى النبي صلى الله عليه وسلم.
- الكيلاني ية التي عبر فيها عن حزنه وحنينه إلى من يحذ .
- استخدم الشاعر القصة الشعرية كجنس أدبي إسلامي رسالي أن القصة من أهم الوسائل في نشر الدعوة. بنجاح كبير أنه يوظف كثيرا من آليات الفن القصصي الحديث مثل: والقناع والحوار والسرود.

- ومن الأغراض الجديدة التي تعرض لها الشاعر هي المناجاة التي فيها الدعاء، وطلب العفو والمغفرة من الله سبحانه وتعالى التي تنطق باللجوء إلى رحمته سبحانه، كما أنه استعمل الشعائر الإسلامية كالكعبة، والحجر الأسود والسعي بين الصفا والمروة وماء زمزم والمسجد النبوي
- الكيلاني تشير إلى اقتباسه من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والآثار العربية من شعر وحكم.
- استخدم التكرار وتميز به وأجاد في استعماله وأكثر منه ومن أنواعه كتنكرار والأسماء والأفعال و الأدوات والحروف والنقاط.
- أكثر من أسلوب الإنشاء وروح بينه وبين أسلوب الخبر، وكثيرا ما يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى التقرير.
- الاستعارة والتشبيه والكناية والمجاز...
- تبين من الدراسات التحليلية الصوتية إحساس الشاعر الشديد بتأثير الأصوات على المعاني ومشاكلتها للأحداث، وقد وفق باختيار الألفاظ وصدر منه ذلك تلقائي.

\*\*\*\*